مدموزيل من فضلك

قصة قصيرة برؤيتين

ونصوص أخرى

تأليف

علا سمير الشربيني

مؤسسة يسطرون للطباعة والنشر والتوزيع

رئيس مجلس الإدارة

عماد سالم

المدير العام

أحمد فؤاد الهادى

مدير الإنتاج

أحمد عبد الحليم

الطبعة الأولى
الكتاب : مدموزيل من فضلك
المؤلف : علا سمير الشربيني
تصنيف الكتاب : قصص قصيرة
مراجعة لغوية : فارس رجب
فكرة ورسم الغلاف : علا سمير الشربيني
جرافيك وتنسيق داخلي : مصطفى كريم
المقاس ١٤ × ٢٠
رقم الإيداع : ١٦١٩٧ / ٢٠١٧
الترقيم الدولى : 978 - 977 - 776 - 473 - 5

الصور الداخلية مأخوذة من شبكة الإنترنت وملكيتها الفكرية محفوظة لأصحابها

العنوان : المكتبة والمطبعة : ٣ ش صفوت - محطة المطبعة شارع الملك فيصل - الجيزة

التليفون : ٠١٢٢٩٣٠٠٠٢٩ - ٠١١٥٧٧٦٠٠٥٢

Email : yastoron@gmail.com

موقعنا على الفيس بوك : مؤسسة يسطرون لطباعة وتوزيع الكتب

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

إهـــــــداء

إليكِ يا أمي... يا مَن لا تعرفين كيف تتابعين ما أكتب عبر الإنترنت، وكنتِ دومًا تتمنين أن تمسكي بيديكِ العطرتين كتابًا مطبوعًا يحمل اسمي...

إليكَ يا أبي... يا مَن علمتني كيف أكتب أول حروفي...

إليكَ يا أخي... يا مَن حببت إلى نفسي القراءة، وعلمتني أن أثمن ما يمكن أن أشتريه بمدخراتي هو الكتاب الجيد...

إلى ابنتي وأختي وسندي الأكبر في الحياة...

إلى من عشقتُ فن القصة القصيرة بسببهم... د. نبيل فاروق، ود. يوسف إدريس رحمه الله...

إلى كل من دعمني وشجعني وتمنى لي التوفيق من الأصدقاء والزملاء...

إليك عزيزي القارئ... يا مَن بيدك أن تصنع نجاحي أو تدفنني في غياهب النسيان...

إليكم جميعًا أهدي هذا الكتاب

علا سمير الشربيني

المحتويات

- هذا الكتاب ٥
١ - بعد النهاية ٧
٢- وتسألني: من أكون؟! ١٥
٣ - الأعداء ٢٥
٤ - حدث في مثل هذا اليوم ٢٧
٥ - مدموزيل من فضلك ٣١
٦ - مدموزيل من فضلك (الوجه الآخر للعملة) ٣٥
٧ - نسيم الحرية ٤٢
٨ - كوسة ٤٩
٩ - بداية قصة ٥٥
١٠ - الأصيل ٦٠
١١ - المحظوظة (خواطر) ٦٥
١٢ - عن السعادة (خواطر) ٧٠
١٣ - سوء تفاهم خالد (قصص قصيرة جدا) ٧٤
١٤ - نساء لا تستحق الحب (قصص قصيرة جدا) ٨٢
١٥ - الحائرتان ٩٠
١٦ - أقصر الطرق ٩٧
- نبذة عن الكاتبة ١٠١
- كوبون مسابقة كتاب مدموزيل من فضلك ١٠٢

هذا الكتاب....

هو بمثابة وليدي الأول -وعسى ألا يكون الأخير- وحلمي الذي تمنيت لسنوات طويلة أن يتحقق، لكني أعترف أني في البداية كنت أحلم بسلبية، دون أن أحاول اتخاذ أي خطوة عملية نحو تحقيق حلمي... فكرة تحول الحلم إلى كابوس في ظل إحجام الكثيرين من الشباب عن القراءة، وتحول مهنة النشر والطباعة إلى "سبوبة" كانت دائما تجعلني أخشى أن تدفعني محاولة رؤية اسمي على كتاب ورقي مطبوع، إلى كراهية الكتابة من بابها في النهاية والامتناع تماما عنها فيما بعد... التجارب الأليمة التي مر بها بعض زملائي وزميلاتي من الكتاب الشباب كانت أكثر من كافية لتجعلني أحجم عن المحاولة من باب الحفاظ على كرامتي، والاعتزاز بما أكتب. وفي الوقت نفسه كان الوصول لدور النشر الكبيرة أصعب مما تخيلت لمن لا يملك اسما مشهورا أو صلة بأحد المسئولين بتلك الدور.

وهكذا فضّلت لسنوات نشر ما أكتبه من قصص قصيرة وخواطر ومقالات عبر الإنترنت من خلال مدونتي الإلكترونية http://rosabianca2008.blogspot.com، ثم الموقع الإلكتروني الحبيب gn4me.com، وحاليا حسابي على فيس بوك facebook.com/mito.mitoo.7 وصفحتي الرسمية عليه @Olasamirelsherbeny، والاكتفاء بالقراء الذين يتابعونني ويشجعونني دومًا على الاستمرار، والذين هم في تزايد دائم بفضل الله.

وكلما عرض عليَّ أحد الزملاء مساعدتي في مقابلة أحد ناشري

”السبوبة“ من مصاصي حروف الكتّاب، كنت أرفض تماما، لكن ظل أملي في الله أن يضع في طريقي يومًا دار نشر محترمة تقدِّر المواهب المغمورة، وتسعى لنشر الثقافة والأدب الراقي بين القراء، في محاولة للارتقاء من جديد بذوق القارئ المصري والعربي... وها أنا ذا أخيرا بعد أن هداني الله لما أبحث عنه، فعساه أن يكتب لي التوفيق والنجاح.

علا سمير الشربيني

بعـــــد النهـــــايـــة

المشهد الأول

خطا الأستاذ (هاني) إلى داخل الشارع الذي يسكن مع زوجته في إحدى شقق العمارة رقم واحد به، وعلى وجهه أمارات الرضا والسعادة، وهو يحمل في إحدى يديه زهورا رائعة الألوان، وفي الأخرى هدية جميلة اشتراها لزوجته الحبيبة وشريكة عمره السيدة (منى)، احتفالا بعيد زواجهما الأربعين. واتسعت ابتسامته وهو يتخيل فرحتها المعتادة بالهدايا وباهتمامه بها، كما لو كانت صبية صغيرة لم تكمل العشرين من عمرها بعد. ورفع عينيه إلى شرفة منزلهما حيث اعتاد دومًا أن تنتظر زوجته الحبيبة عودته هناك، لتلوح له بيديها معلنة فرحتها بعودته للمنزل، لكن تعبيرات وجهه تغيرت كلها فجأة، وتحولت إلى الخوف والرعب، وهو يرى الأدخنة السوداء تتصاعد بشدة من شرفة شقته، ولا أثر لزوجته فيها، وسقطت الزهور والهدية من يديه، وهو يصرخ: "منى!!!"

****

المشهد الثاني

"كيف حاله الآن يا دكتور؟" تساءل الأستاذ (سامي) في حزن وإشفاق، موجهًا حديثه إلى الطبيب النفسي المشرف على علاج صديقه الأستاذ (هاني).

ابتسم الطبيب ابتسامة خفيفة، وهو يؤكد: "لقد تحسنت حالته بشكل كبير منذ أن رأيته حضرتك في الزيارة الأخيرة. يمكنني أن أقول إنه قد بدأ يتجاوز أزمته ويتغلب على حالة الانهيار العصبي التي أصابته

بعد وفاة زوجته في الحريق، وبدأ يمارس حياته بشكل شبه طبيعي الآن، بعد أن قضى بضعة أشهر بالمستشفى، فقد فارقته حالة الذهول وتجاهل الآخرين، وبدأ ينتظم في تناول وجباته وأداء صلواته وقراءة القرآن بشكل يومي، بالإضافة للنزول أحيانا إلى الحديقة، وأعتقد أن بإمكانه مغادرة المستشفى قريبًا"

تهلل الأستاذ (سامي)، مجيبًا: "الحمد لله... لقد كنت أخشى أن تقضي هذه الصدمة عليه، وتكون فيها نهايته، فزوجته – رحمة الله عليها- كانت أقرب مخلوقات الله إليه، ورغم أن الله لم يرزقهما بالأبناء، إلا أن ذلك زاد من تقاربهما وحبهما لبعضهما، حيث اعتبر كل منهما الآخر ليس فقط حبيبه وشريك حياته، بل أيضًا صديقه ورفيقه وابنه وكل ما له في الدنيا، ورحيلها كان مفاجئًا وبشعا كما تعلم يا دكتور، لكن يبدو أن (هاني) لا يزال كعهدي به قويًّا صامدًا رغم طيبته ورومانسيته الشديدة"

****

المشهد الثالث

- "لا لا ... هذا الرسم لا يشبه زوجتي على الإطلاق!" صاح الأستاذ هاني بهذه العبارة في عصبية، محدثًا الرسام الذي يجلس مواجهًا له، والذي تنهد وزفر معلنًا فقدان صبره، ثم أجاب محاولا التحلي بالهدوء قدر الإمكان:

- "هذا هو الرسم العاشر الذي أحاول فيه الاقتراب قدر الإمكان من شكل زوجتك الراحلة، وفقًا لوصفك لملامحها، ولا يرضيك

يا سيدي! الأمر كان سيصبح سهلا للغاية لو أطلعتني ولو على صورة واحدة لها... أنا آسف لا يمكنني تقديم ما هو أفضل من ذلك!"

خرج الأستاذ هاني من المرسم، وهو ممتلئ بالمرارة والإحباط. لقد حاول التغلب على صدمة فراق زوجته الحبيبة وميتتها البشعة المفاجئة، لأنه يؤمن أن هذه مشيئة الله، وأن عليه أن يصبر عليها، وساعده على ذلك انتظامه في الصلاة وقراءة القرآن. لكنه عندما تماثل للشفاء، وغادر المستشفى، كان قدر قرر أن يعيش وسط ذكرياتهما الجميلة التي صنعاها معًا طوال أربعين عامًا، ليشعر دومًا أن (منى) ما زالت معه وبجانبه، إلى أن يشاء الله أن يلتقيا من جديد في مكان أفضل.

لكن صدمة جديدة كانت في انتظاره، ولم يدركها مسبقا. لقد منعه رجال الإطفاء وقتها من الصعود للعمارة ودخول الشقة، خوفا على حياته، وبمجرد أن أخبره بعضهم بوفاة زوجته، ورأى جثتها المحترقة خارجة من المبنى على محفة المسعفين، انهار وسقط، وتم ونقله للمستشفى، وبقي هناك لأشهر، وكانت المرة الأولى التي يدخل فيها شقته بعد انتهاء علاجه، وخروجه مجددًا للدنيا، وهاله ما رأى!

فالحريق لم يسلبه حياة زوجته الحبيبة فقط، بل أتى أيضا على آثارها وممتلكاتها وذكرياته معها.. كل ملابسها وعطورها وأدوات تجميلها.. كل المشغولات اليدوية التي صنعتها بنفسها.. كل التذكارات التي اختاراها معًا لتزين منزلهما على مدار عمرهما، وكذلك كل مستنداتها

الرسمية وصورها الفوتوغرافية القليلة.. كانا من كبار السن، ولا يجيدان استخدام وسائل التكنولوجيا الحديثة، كالكمبيوتر، والهواتف الذكية، وغيرها، ولا يمتلكان أية حسابات على مواقع التواصل الاجتماعي، كما كانا نادرًا ما يختلطان بالناس، فهما بلا أبناء، ومعظم أقاربهما إما غادروا الحياة، أو تقطعت الخيوط التي تربطهما بهم منذ زمان.

وقتها أقام لفترة بمنزل صديقه الوحيد الأستاذ سامي، واستعان بجزء كبير من مدخراته، لإعادة إعمار شقته، وجعلها صالحة مجددًا للسكن، وأصابه الإحباط من جديد، كما قتله الشوق لرؤية حبيبته، بعد أن حرمه الحادث منها، ومن كل ما يمكن أن يحيي ذكراها.

ثم لم يلبث أن استفاق لنفسه مجددًا، وبدأ السعي خلف أمل جديد.. سيحصل على خدمة رسام محترف، ويخبره بدقة بملامح زوجته الراحلة، ليحصل على صورة مرسومة لها، تعوضه قليلًا عن غيابها، وتخفف من آلام شوقه إليها.

لكنه عاد مجددًا لنقطة الصفر، وشعر أنها فعلًا نهايته هذه المرة، بعدما فشل عدد من الرسامين المهرة في رسم صورة دقيقة لزوجته، وتقترب من ملامحها الفعلية، لأنهم لم يروا لها صورة واحدة... لكنه وحده يعرفها جيدًا، وملامحها محفورة بداخله، بكل جمالها ورقتها وطيبتها.

****

المشهد الرابع

ارتدى الأستاذ سامي أفضل حلله، وتوجه مبتسما إلى إحدى قاعات الفنون، حيث يقام أحد معارض الفن التشكيلي، وانبهر بمجرد دخوله إلى القاعة، عندما رأى كثافة الحضور، واحتفاء الصحافة باللوحات المعروضة تحت عنوان (أحيا بك)، وملأه الفخر، وهو يبحث بعينيه وسط الحضور عن الفنان صاحب المعرض، والذي لم يكن سوى.. الأستاذ (هاني)!

وأخيرًا لمحه وهو يجيب عن أسئلة الصحفيين الحاضرين، وقرر الانتظار إلى أن ينتهي صديقه معهم، ليهنئه بإنجازه المبهر، ووقف مستمعًا للأسئلة والإجابات:

سأل الصحفي: انبهرنا بلوحاتك الجميلة وأسلوبك الفني المتميز، وازدادت حيرتنا عندما عرفنا أنك حديث الظهور بالوسط التشكيلي، وأن هذا هو معرضك الأول، رغم تجاوزك لسن الستين، فما السر؟

أجاب الأستاذ هاني بحزن هادئ: منذ سنوات قليلة لم أكن سوى موظف بسيط على المعاش، وهاوٍ قديم للرسم، دون أن يمارسه لعشرات السنوات، ثم هبت عاصفة شديدة اقتلعت حياتي من جذورها، واعتقدت أنها النهاية.. ثم التمعت عيناه، وهو يكمل بإصرار: لكن حبي لها، جعل لي بعد النهاية، بداية جديدة، وفتح لي طريقًا قادني إلى هنا.

ازدادت دهشة الصحفي، وهو يواصل أسئلته: إجابتك يشوبها الكثير من الغموض، ومن تلك التي تتحدث عنها؟ هل تقصد ملهمتك التي

نراها بطلة كل لوحاتك الموجودة بالمعرض؟ هذا في حد ذاته إضافة لغموضك، مَن هي تلك السيدة التي تطل ملامحها في مشاهد مختلفة بلوحاتك الجميلة؟

أجاب الفنان هاني بكل فخر وهيام: إنها زوجتي.. الراحلة... وهبني حبها حياة جديدة، وهدفًا أحيا من أجله بعد نهايتي.

وترقرقت الدموع في عيني الأستاذ سامي، وهو يتذكر كيف أصر صديقه هاني منذ ٣ سنوات على تعلم الرسم بنفسه، وإحياء هوايته القديمة، ومثابرته الشديدة في التردد على مختلف مراكز تعليم الرسم، والتدريب ليلًا ونهارًا، لتطوير مهاراته، في سبيل رسم صورة متقنة لزوجته، لأنه الوحيد الذي يحفظ ملامحها عن ظهر قلب... وكم كانت فرحته عندما خرجت أولى لوحاته الناجحة التي تألق فيها وجه زوجته وحبيبته الراحلة، واختار لها مكانًا مميزًا في ردهة منزله، بعد إعادة تجديده، لكنه قرر ألا يتوقف، وفكر أنه ربما أراد الله أن يجعل حبه لزوجته دافعًا يفتح له طريقًا جديدًا في الحياة، وهدفًا يحيا من أجله.

وبدلا من لوحة واحدة، تحول الأمر إلى سلسلة من اللوحات الرائعة، ظهرت فيها حبيبته (منى) في مختلف مراحلها السنية، وفي لقطات مختلفة تسجل أبرز مراحل حياتها، وأجمل لمساتها المليئة بالطيبة والحب والجمال، وانتهى الأمر باتخاذ الأستاذ هاني قراره بإقامة معرضه الفني الأول، ليبدأ حياته كرسام محترف في هذا العمر، ويعلن أنه سيواصل حياته بفنه وحبه لزوجته، ما دام في صدره نفسًا يتردد، ليتحول إلى أيقونة جديدة في المجتمع، ورمزًا للوفاء

والإصرار وعدم الاستسلام للحزن واليأس.. والموت.
وسرعان ما مسح الأستاذ سامي دموعه، عندما لاحظ انتهاء حديث صديقه مع الصحفيين، وتوجه إليه مسرعًا لتهنئته.

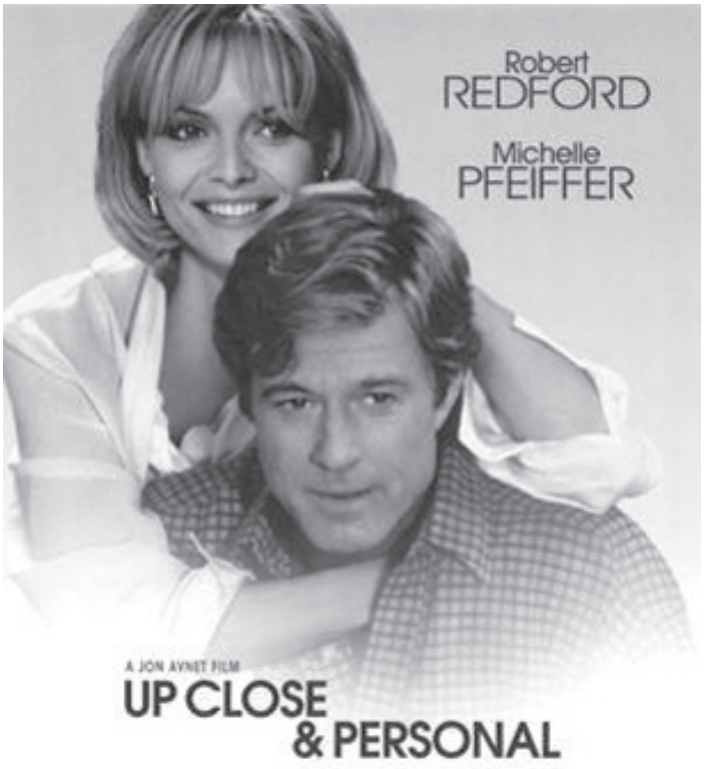

وتسألني: من أكون؟!

”ما هذا العبث؟! ماذا عن تعبنا وسهرنا لسنوات في سبيل وضع هذه القناة على خريطة القنوات المحترمة في الوطن العربي بأكمله، وجذب المشاهدين لها حذبًا من خلال إنتاج وتنفيذ برامج وأعمال درامية متميزة خاصة بها؟“ صاحت ”حنان“ بهذه الكلمات، وهي تشيح بذراعيها في انفعال، وتزفر بقوة.

طأطأ مديرها رأسه في مرارة، وهو يتمتم في خفوت: وماذا في وسعنا أن نفعله؟! رأس المال جبان كما تعلمين يا مدام ”حنان“، وكما ترين فإن ظروف البلاد لم تعد مستقرة مثلما كانت في السابق، وصاحب القناة أصبح ما بين خيارين أحلاهما مر، إما إغلاق القناة بالكامل، وتسريح العاملين جميعا، أو التوقف عن إنتاج البرامج والأفلام والمسلسلات الأصلية، والاكتفاء فقط بشراء حق عرض المواد الإعلامية الجاهزة من قنوات أخرى بتكلفة أقل كثيرًا. وفي هذه الحالة سيصبح فريق الفنيين بالكامل بلا عمل، فيما عدا عمال ومهندسي استوديوهات الهواء، مع استمرار الإداريين في أعمالهم العادية. لكن لا تقلقي.. صاحب القناة يطمئنكم أن في حالة حدوث ذلك أماكنكم محفوظة وأنه لن يقطع رزق أحد والجميع مسئولون منه“

استمرت ”حنان“ في ثورتها، وهي تقول: ”إنه فقط يحاول الحفاظ على صورته بهذا العرض الكريم، لكن بِمَ يفيدنا هذا على المستوى العملي؟ كيف يطلب منا الاستمرار مع القبول بالنقل لوظائف إدارية داخل القناة، ولا علاقة لها مطلقا بتخصصاتنا؟!! إنه فقط يريد من كل منا أن يطلب الرحيل من نفسه، بدلا من أن يضطر هو لفصلنا بشكل

جماعي".

ثم خفضت صوتها وهي تكمل بمرارة: "المشكلة الحقيقية هي أنني أعلم جيدا أن الكثيرين منا يعتمدون على رواتبهم هنا لإبقاء بيوتهم مفتوحة وسداد التزاماتهم الشهرية، وسيقبلون بأي عرض يقدم لهم كي لا يفقدوا مصدر رزقهم".

صمت المدير، وهو يعلم أنها على حق، وتركها تنصرف دون أن يعلق.

قادت "حنان" سيارتها الصغيرة في طريقها للمنزل، وهي تشعر بالصداع يكاد يفتك برأسها.. لقد عملت بتفانٍ لسنوات طويلة في هذه القناة كمخرجة، وكانت وزملاؤها من الفنيين لا يدخرون جهدًا في تنفيذ البرامج والأعمال الدرامية على أفضل ما يكون، وحدث مرارًا في بداية عمل القناة أن عملوا على مشروع ما لأيام متواصلة دون راحة، كما حدث كثيرًا أن تأخرت رواتبهم لأشهر أو حصلوا عليها على مراحل، وكانوا يصبرون ويتحملون لأنهم جميعا يعشقون ما يعملون وينتمون للمكان. الكثير من الضغوط والمشاكل مروا بها معًا في السنوات الأولى وتجاوزوها إلى أن وقفت القناة على قدميها وأصبح لها مشاهدون يقصدونها خصيصًا بسبب البرامج والأعمال التي تنتج بها وتعرض عليها بشكل حصري، وكان كل تعبها يزول بمجرد رؤيتها لاسمها على تيتر البرنامج أو المسلسل وتلقيها لردود أفعال المشاهدين الإيجابية عليه.

والآن، حتى وإن كان كل ما يقوله المدير الآن صحيحًا، فبالتأكيد

كانت هناك حلول أخرى يمكن للإدارة أن تلجأ لها غير ذلك لتسويق الأعمال التي تنتجها القناة وزيادة نسبة الإعلانات، بدلًا من التخلي بشكل كامل عن إنتاج أي عمل جديد لضغط النفقات.

المشكلة الأكبر بالنسبة لها كانت فكرة الجلوس على قنبلة موقوتة، فهي لا تعرف على وجه التحديد متى سيتم تطبيق سياسة القناة الجديدة، ورغم أن خبرتها واسمها يتيحان لها إيجاد عمل آخر بسهولة، إلا أنها لا يمكنها أن ترحل الآن وتترك زملاءها الأصغر سنًا وأقل خبرة وحدهم ليواجهوا مصائرهم، كما أن الأمل سيظل بداخلها حتى اللحظة الأخيرة، فقد يحدث أي جديد وتتراجع إدارة القناة عما تنتوي فعله.

وصلت إلى المنزل، وغادرت سيارتها في تثاقل، لتصعد إلى شقتها، وهي تحاول قدر الإمكان رسم ابتسامة تلتقي بها زوجها "خالد".

كان هو حب العمر، لكن رغم ذلك لم يتم زواجهما إلا مؤخرا، وبعد أن افترقا أكثر من مرة قبل إتمام الزواج نتيجة رفضه الكامل لفكرة استمرارها في العمل بعد الزواج، وإصرارها هي في المقابل على عدم التخلي عن مستقبلها العملي، لكن المدهش هو أن حبهما الرائع نجح في لحظة ما في إخماد صوتي عقليهما العنيدين، ليتم زواجهما في إطار اتفاق يقوم على تقبُل "خالد" لعمل "حنان" وطموحها، طالما لا يؤثر على حياتهما الزوجية بالسلب، وذلك حتى لا يسمحا لاختلافاتهما أن تتحول يوما إلى خلافات قد تؤدي بهما للانفصال، ويضيع الحب للأبد.

لكن هذا لم يكن كافيًا لـ "حنان"، فلطالما تمنت أن يكون هو بالنسبة لها الزوج الذي يفرح لنجاحها ويحزن لأي صعوبات تلاقيها في حياتها العملية ويساندها حتى تتجاوزها. الزوج الذي يثق بها ويتفهم طموحها وحبها لعملها ويشجعها دوما لتحقيق المزيد من التقدم. لكنها كانت تجد منه العكس ً، فهو يكره عمل المرأة أيًا ما كان، وبالنسبة له العمل للرجل أو المرأة ليس إلا وسيلة لكسب المال، وإن توافر المال، فلِمَ لا تجلس المرأة في المنزل وتكتفي بكونها زوجة؟! كانت هذه نقطة من بين نقاط الاختلاف الكثيرة التي كانت تدفعه دوما في الماضي للابتعاد عنها، مبررًا لنفسه أنه لا يريد أن يكون أنانيًّا ويحرمها من كل ما حققته على المستوى العملي، وأن من حقها أن تحافظ على نجاحها وتسعى خلف طموحاتها. لكنه لم يفهم أبدًا أن هذه من وجهة نظرها هي الأنانية بعينها، فهي ما ثابرت وكافحت إلا لتليق به، وليفتخر بها، وسعادتها بأي نجاح أو تقدم كانت ستظل دومًا منقوصة إن لم يكن هو بجوارها، فهي نعم تريد العمل والنجاح، لكن وهي معه وتحمل اسمه ودعمه وتشجيعه. ورغم زواجهما في النهاية، إلا أنه ما زال يفكر بنفس الطريقة حتى لو لم تقصر هي يومًا في كل واجباتها كزوجة.

وبالفعل، بمجرد أن علم بمرورها بصعوبات في عملها، لمعت عيناه ولم يستطع مداراة فرحته بقرب تخلصه من الشيء الذي يعتبره كما لو كان غريمًا ينافسه في حب زوجته، وقال:

- "لا تحملي همًّا... ما قيمة هذا العمل على كل حال؟! ... سبحان

الله ... لقد كنت دومًا ضد فكرة عمل المرأة من الأساس لأنه يغير من طباعها ومعاملاتها، ويجعلها صلبة في أقوالها وأفعالها كما لو كانت رجلا!!".

نظرت له "حنان" نظرة عتاب واستنكار صامتة لعله يفهم أن كلامه يجرحها، وأنها في حالة نفسية لا تسمح بسماع محاضرة حول رأيه في عمل المرأة، لكنه لم ينتبه بالطبع وواصل حديثه، ملوحا بذراعيه في حماس: "اتركي هذا العمل اللعين بلا تردد، ولعل هذا ما فيه الخير لك ولأسرتنا... إذا أردت الصراحة، لقد تغيرت شخصيتك كثيرًا في الفترة التي افترقنا بها قبل زواجنا، وأنا على ثقة أن العمل هو السبب... ما زلت أذكر كم كنت رقيقة وضعيفة في الماضي.. وكيف كنت أسير ضعفك هذا!! " ثم تنهد بقوة متحسرا، وعاد ليواصل حديثه: "لا تحملي أي هم... المال متوافر والحمد لله، وأنا وكل ما أملك تحت أمرك، يكفي أن تعليقات الرجال الحارة التي تصلك كلما أذيعت لك حلقة ناجحة ستتوقف!!".

غامت الدنيا أمام عينيها بسبب الدموع التي شكلت ما يشبه حاجزًا ضبابيًّا يشوه الرؤية، لكنها أشاحت بوجهها حتى لا يرى دموعها، وحاولت أن يبدو صوتها عاديًّا، وهي تقول في خفوت: "سأعد لك العشاء ثم أذهب لأنام... فأنا لا أشعر بالجوع هذا المساء، وأحتاج أكثر إلى الراحة".

وقبل أن تسمع منه ردًّا اختفت سريعًا داخل المطبخ، ثم ذهبت إلى غرفتهما لتنام بعد أن أعدت له العشاء. لكنها في الحقيقة لم تنم... لقد

كانت تبكي... جرحتها كلماته لأقصى درجة، ليس فقط لفرحته لقرب حرمانها من الشيء الذي تعتبره هي جزءًا لا يتجزأ من شخصيتها، والذي بذلت فيه الكثير من الجهد لسنوات، لكن أيضًا لطعنه في أنوثتها، وتصريحه الذي فهمت منه أنه يتعامل معها كما لو كانت امرأتين، ومن بينهما يفضل التي كانت وليست الحالية.

أما عن تعليقات المشاهدين، فهي تكون على عملها، ولم ولن تكون هي نفسها يومًا مادة للتعليق، والتعليقات التي ترد على الصفحة الرسمية للقناة تكون من رجال ونساء معًا، وغالبًا ما تكون النساء أكثر في المعتاد لأنهن الأكثر حرصًا على متابعة البرامج التليفزيونية وتشجيع بنات جنسهن. صحيح وحقيقي أنها تحترم وتُقَدر كل تعليق إيجابي أو حتى سلبي يصلها، لكن ما لا يعلمه أن تعليق شخص واحد فقط هو الذي يهمها دائما من بينهم.. تعليقه هو.

لكل ذلك فضلت الصمت، خشيت أن يدفعها جرحها للرد عليه بشكل حاد أو غير موفق ربما يؤلمه. وبينما هي تبكي وتتظاهر بالنوم، فوجئت به وقد دخل الغرفة دون أن يحدث أدنى صوت، لتجده فجأة ساجيًا على ركبتيه أمام الفراش، متطلعًا إلى وجهها والدموع التي تغرقه، والأسف بادٍ على وجهه، ثم مد أصابعه بحنان ليمسح دموعها، فاعتدلت جالسة في الفراش، ليجلس هو في مواجهتها ويحتويها بين ذراعيه ويربت على ظهرها برقة، ثم قبلها على جبينها، قائلا: ”أعتذر يا حبيبتي... لم أقصد أبدا مضايقتك... سامحيني. لقد كنت أعبر عن وجهة نظر تخصني أنا بشأن عمل المرأة، وليس لزامًا عليك اتباعها،

كما أن غيرتي عليك لا حيلة لي فيها...ويجب أن تعلمي أيضا أن حبي وتقديري لك كما هما منذ البداية، وحتى الآن، فأنت كالجوهرة الغالية التي كلما مر عليها الزمان ازدادت قيمتها... وفي النهاية، من أكون أنا لأستحق دمعة واحدة من عينيك أو لحظة حزن تمر عليك؟!... عموما لن أرهقك بالحديث الآن... سأتركك لتنامي، ولنتحدث في الغد".

في الصباح، استيقظ ليجدها وقد غادرت المنزل بالفعل، بعد أن أعدت له الإفطار على السفرة، ويبدو أنها قد نهضت مبكرة للغاية، وفضلت الذهاب إلى العمل قبل استيقاظه، لتتجنب النقاش مجددا في نفس الموضوع. لكنه عندما جلس على المائدة ليتناول الإفطار، لاحظ أنها قد تركت له رسالة، وأرفقت معها قرصًا مدمجًا (CD)، فاندهش قليلا، ثم بدأ في قراءة الرسالة: "صباح الخير يا حبيبي .. أنا آسفة... لقد أصبحت حساسة بشكل مبالغ فيه في الفترة الأخيرة، سامحني... أنا واثقة أنك كنت تريد مواساتي وتهوين الأمر عليّ، لكن ربما خانك التعبير، فخرجت عباراتك غير موفقة، ولأني عاهدت نفسي منذ زواجنا ألا أغضب منك أبدًا وأن أتقبل كل شيء منك مهما كان، لن أعاتبك، وتكفيني ثقتي في صدق نيتك، وفي حبك لي.... كل ما أرجوه هو أن تشاهد الفيلم الموجود على الاسطوانة المرفقة... شاهده بقلبك، وربما تفهمني أكثر بعدها، وتعذرني... والأهم أن تدرك من تكون أنت بالنسبة لي.... زوجتك المحبة دائمًا (حنان)".

اشتعل فضوله أكثر وأكثر، ولأنه في إجازة اليوم، نهض على الفور، ووضع الاسطوانة في جهاز الكمبيوتر، وبدأ في تشغيلها. كان فيلمًا

كلاسيكيًّا ملونًا من إنتاج عام ١٩٩٦، بطولة ميشيل فايفر وروبرت ريدفورد، ويحمل عنوان

"Up Close & Personal". الفيلم يدور حول مراسل إخباري شهير ينبهر بفتاة ريفية فقيرة وبسيطة تصر على العمل كمذيعة ومراسلة بالقناة التي يعمل هو بها، وتبذل قصارى جهدها في سبيل تحقيق هدفها مهما كانت الصعوبات، فيساندها ويدعمها ويمدها بكل خبرته وعلمه بأسرار المهنة، كما يمنحها حبه وإخلاصه اللذين تقابلهما هي بالمثل، فيتزوجان، ويظل يشجعها ويسند إليها المهام المليئة بالتحديات إلى أن تكتسب الثقة الكافية بنفسها والمظهر اللائق والمهنية المطلوبة، وتتحول لمذيعة ومراسلة إخبارية مرموقة لا يشق لها غبار بفضل زوجها العظيم الذي لولا حبه وإيمانه بها ودوره العظيم في حياتها لما أصبحت هي شخصا يشار إليه بالبنان. ويندمج "خالد" في أحداث الفيلم الرومانسي الرائع، المأخوذ عن قصة حقيقية بطلتها إحدى المذيعات الأمريكيات، إلى أن ينتبه فجأة إلى دموعه التي تسيل على وجنتيه عندما يتوفى الزوج المحب الحنون أثناء قيامه شخصيًّا بعمله كمراسل في إحدى المناطق الخطرة التي تدور فيها الحرب. ورغم خسارتها الكبيرة، تتماسك الزوجة المكلومة، لتكمل مشوارها الناجح، وسط اعترافها الدائم بفضل زوجها الراحل عليها، وأنها تواصل حياتها وعملها فقط بحبه ودعمه لها. وينتهي الفيلم بأغنية شهيرة ورائعة لسيلين ديون بعنوان "Because You Loved Me".

ورغم تأثره بالنهاية الحزينة للفيلم، إلا أنه لم يتمالك نفسه من الابتسام إعجابًا بذكاء زوجته، وعقليتها الراقية، فقد أوصلت له عتابها وأمنيتها بطريقة غاية في الرقة والرومانسية.

وعندما عادت "حنان" للمنزل، استقبلها بين ذراعيه في حب ولهفة، ولأول مرة منذ زواجهما لم يعاجلها بطلب إعداد الطعام كعادته كل يوم، بل لدهشتها، أخذ يسألها عن يومها، وأخبار العمل، ويستمع لها بحماس، مؤكدا أن عليها الصبر ومحاولة تجاوز الأزمة مع زملائها إلى أن تستقر الأمور وتعود القناة لتقف على قدميها من جديد، وتستأنف إنتاج الأعمال الحصرية المنفذة بيد العاملين بها. وشعرت "حنان" كما لو كانت تحلم، وهي تجيب بحماس عن تساؤلاته، وتشكره على اهتمامه، مربتة على كفه بحب غامر وامتنان كبير... لقد فهم رسالتها وأثبت لها عمليًّا كم يحبها، وهي الآن أصبحت على ثقة من أن دعمه وتشجيعه لها لو استمرا، ستتجاوز كل الصعاب سريعا بإذن الله، وسيصبح كل شيء على ما يرام في أقرب وقت، وحتى إن لم يحدث ذلك واضطرت في النهاية لترك العمل، فقد فازت بما هو أهم وأغلى: لقد أصبح زوجها الحبيب لها كما تمنته طوال عمرها، وعرف أخيرا من يكون.

الأعـــــــداء

أشار القائد في صمت إلى رفاقه بالصعود خلفه من النفق. كانوا يشنون هجومًا على مخزن أغذية العدو ليتزودوا بالغذاء لعشيرتهم. لقد اعتادوا على التسلل ليلًا بين الحين والآخر، متسترين بالظلام، وبعد انتهاء مهمتهم يعودون من حيث أتوا عبر النفق.

أخذوا يعاونون بعضهم البعض على حمل المؤن والطعام، وقائدهم يحثهم على الإسراع و....

وفجأة أضيئت الأنوار وسطع الضوء في المكان، فتجمد القائد في مكانه من الخوف، بينما هرب من معه بسرعة.

لقد انتبه الأعداء للهجوم، وأتوا للدفاع عن أنفسهم... وقبل أن يتحرك قائد الهجوم، وجد في وجهه السلاح القاتل الذي انطلق بلا هوادة، ليرديه قتيلا وبجواره الطعام الذي كان يحمله.

- ”هذه الكائنات اللعنية!!“

نطقت السيدة (سميحة) بهذه الكلمات في اشمئزاز، فأجابها زوجها:

- ”ماذا حدث؟!“

- ”كالعادة... إنها تلك الصراصير اللعينة.... لقد استيقظت لأشرب، ولم أكد أشعل ضوء المطبخ، حتى فوجئت بعشرات منها تفر عبر البالوعة، وبقي واحد فقط لم يستطع الهرب، فعاجلته برذاذ المبيد الحشري على الفور... أفٍ!! متى يرحمنا الله من هذه الحشرات القذرة؟!“

وأطفأت الأنوار ثانية، استعدادًا للعودة إلى النوم.

حدث في مثل هذا اليوم

”في مثل هذا اليوم - منذ أعوام أتمنى أن يصل عددها يومًا إلى رقم لا يمكنني إحصاؤه - كنت أمارس الطقوس المكررة ليوم روتيني عادي من أيام حياتي، وبين الحين والآخر أتابع آخر الأخبار وتعليقات الأصدقاء على الفيس بوك عندما وجدت طلب إضافة يظهر أمامي فجأة، وبلا حماس ضغطت على علامة الأصدقاء لأرى من الطالب، وهالني ما رأيت!

انتفضت كل ذرة في كياني وأنا أطالع الاسم المميز الذي لا يمكن أبدًا أن يمحى من ذاكرتي حتى الممات... إنه اسمك... إنه أنت... لا أدري لماذا لم أتوقع أبدًا أن ألقاك يومًا عبر هذا الموقع، ربما لأن فراقنا وقع قبل اختراعه... لكنه حدث!

وبأصابع مرتعشة خلت عروقها من الدماء، أرسلت لك رسالة أسألك فيها: إنه أنت... أليس كذلك؟!

وفي نفس اللحظة التي ضغطت فيها زر الإرسال وصلتني رسالتك الأولى التي تسألني فيها عن أحوالي وتتمنى أن أكون بخير!!

وبقدر ما صببت جام غضبي وسخريتي ومرارتي على رأسك حينها لأسباب كنت أجدني على حق فيها، وبقدر ما كنت أشعر بالمرارة والألم لجرحك لي في الماضي، أجدني بنفس القدر الآن مليئة

بالعرفان والامتنان نحوك لأنك احتملت ثورتي وقتها وامتصصتها بمنتهى الصبر والهدوء، وأعدت لي حلمي الوحيد الذي كنت أحيا به لسنوات قبل أن تختطفه مني بمنتهى القسوة واللامبالاة وترحل... أجدني شاكرة وممتلئة بالحب والحنان نحوك لأنك فهمت أن لا أحد سواك يمكن أن يشفي جراحًا لطالما واجهتُك بأنك أنت من أصابني بها.. وعدت لتستقر في مينائي إلى الأبد...

وبعد طول الغياب، تحول قاتلي إلى منقذي، ونفس اليد التي طعنتني هي من أخرجت السكين من قلبي، وجمعت شظايا ذلك المسكين وداوته بمنتهى الرقة والحنان والرحمة والحب الصادق...

ولدهشتي وجدت قلبي وقد عاد ينبض من جديد بنفس إيقاعه القديم الذي أدمنه، والذي تصورت أنه لن ينبض أبدًا به مرة أخرى ، ووجدتني وقد بُعثت مرة أخرى للحياة بعد سنوات من الفراق قضيتها كجثة تسير على قدمين..

فشكرًا لك يا من أعدت اسمي لقائمة الأحياء برحمة من الله، ولن أتوقف أبدًا عن التوجه بدعائي له سبحانه بأن يديم بقاءك في حياتي ويحفظ علينا سعادتنا وحبنا.“

أنهت ”وفاء“ رسالتها التي تكتبها لزوجها وحبيبها الوحيد في ذكرى

ذلك اليوم الذي عاد إليها فيه معترفًا بحبه لها ونادمًا على فراقها- والذي اختاراه معا بعد مرور عام واحد ليصبح هو نفسه يوم زفافهما- ثم ضغطت زر الإرسال، وابتسمت ابتسامة رائعة وهي تغلق موقع الفيس بوك، وجهاز الكمبيوتر أثناء إلقائها نظرة هائمة على الصورة العائلية الجميلة التي تجمعها بزوجها الغالي وطفليهما الرائعين.

ثم لم تلبث أن أفاقت من شرودها، ونهضت على عجل لتتابع بسعادة استعدادات الاحتفال بعيد زواجها الخامس حتى تنتهي من كل شيء قبل عودة زوجها من عمله.

مدموزيل من فضلك

أدارت "نور" المفتاح في ثقب الباب بعد عودتها من العمل، ودلفت إلى شقتها الصغيرة في ذلك الحي الشعبي المزدحم، وزفرت في ضجر وهي تضيء الردهة وتدور بعينيها المرهقتين في المكان الخاوي من البشر، والذي كان حتى سنوات قليلة مضت يمتلئ ليلا ونهارًا بالصياح المتبادل بين والديها المسنين اللذين كانا لا يكفان أبدًا عن الشجار والمناكفة على طريقة مصارعة الديوك ولأتفه الأسباب!!

- "أين هما الآن؟" تساءلت "نور" بصوت مرتفع ثم أكملت في مرارة: " لقد ذهبا وتركاني وحدي".

خطت في بطء نحو أول مقعد صادفها، وألقت جسدها عليه كما لو كان بناءً متهدمًا، وهي تحول نظراتها إلى صورة شقيقتها الصغرى المعلقة على الحائط وقالت – كعادتها في التفكير بصوت مرتفع –: تزوجت يا حبيبتي واندمجت في حياتك... ولم يبقَ لي سوى وحدتي وعملي، وذلك اللقب اللعين الذي التصق باسمي للأبد... لقب آنسة!!".

كانت "نور" متوسطة الجمال، لكنها رشيقة وجذابة، ورغم أنها قد أكملت سن الأربعين، إلا إنها كانت تبدو في أصغر كثيرًا من عمرها لرقتها وبساطة مظهرها وضآلة جسدها. لكن ما جدوى أن تبدو أصغر من عمرك الحقيقي بعشر سنوات إذا كنت في داخلك تشعر أن عمرك يتجاوز الألف عام!

وكان لقب "آنسة" يثير بداخلها كلما سمعته مشاعر متباينة... ففي البداية تشعر بالرضا والثقة في نفسها لأنها تبدو شابة صغيرة يناديها من لا يعرفها بهذا اللقب... ثم لا تلبث أن تشعر بالألم والأسى لأنها

لم تحظَ أبدًا بالفرصة التي تتمناها كل امرأة، وهي أن تصبح زوجة وأمًّا.

لم تدرِ كم بقيت جالسة على الوضع نفسه... ربما ساعة أو أكثر، ثم لم تلبث أن نهضت في تثاقل لتغير ثيابها وتؤدي الصلاة، ثم وضعت بعض أطباق الطعام على المائدة وأشعلت التلفاز، وجلست أمامه لا تدري ماذا تشاهد أو ما مذاق تلك اللقيمات التي تضعها في فمها بشكل آلي.

ودق جرس الهاتف فتركت ما بيدها واندفعت إليه بلهفة مجيبة: ”آلو... ”حبيبة“ ... أين أنت؟ لماذا لا تسألين عني؟ هل ستأتين لزيارتي في نهاية الأسبوع؟“

ولم تلبث علامات خيبة الأمل أن ارتسمت على وجهها عندما اعتذرت شقيقتها عن زيارتها هذا الأسبوع أيضا لأنها ستسافر في إجازة مع زوجها وأولادها. وبالطبع لم تفكر في دعوة ”نور“ لمرافقتهم ولو من باب المجاملة.

وعادت ”نور“ للجلوس أمام التلفاز والدموع تنهمر تلقائيًّا على وجهها... إنها ليست نادمة على قرارها بعدم الزواج... لقد كانت مقتنعة تمامًا في كل مرة رفضت فيها الزواج من إنسان غير مناسب لم يرَ فيها أي شيء يميزها عن غيرها من النساء، ولم يلقِ بالًا لرفضها متوجها في اليوم التالي إلى غيرها... لم تقابل في حياتها إنسانًا واحدًا أحبها بحق، وحتى عندما أحبت لم تستطع قبول الزواج ممن أحبته بعد أن علمت أنه لم يتقدم لها إلا لينتقم من أخرى أصرت

على رفضه!

لم يكن بمقدورها الزواج لمجرد الزواج، ولم تقتنع أبدًا بالمثل القائل "ظل رجل ولا ظل حائط" والذي طبقته أختها مثل كثيرمن الفتيات للحاق بقطار الزواج، كما لم تقنعها أبدًا تحليلات السادة الخبراء والمسئولين لأزمة ارتفاع عدد العوانس في مصر مسلِّمين دائمًا بأن السبب هو مغالاة أهالي الفتيات في المهور والطلبات الأخرى كالأثاث والشبكة والمؤخر وخلافه... لم تقتنع يوما بكل ذلك، فهي على ثقة أن الأزمة في حقيقتها أزمة مشاعر... أزمة ثقة، وأن الكثيرات مثلها كن على استعداد للزواج بأبسط الإمكانات المادية إذا وجدن من يقدرهن ويحتوي مشاعرهن، ويرى ضعفهن واحتياجهن المختفيان خلف الشخصية القوية والتعليم العالي والوظيفة المرموقة.

وأفاقت من شرودها مرة أخرى بعد فترة على صوت بطل الفيلم الكوميدي القديم المذاع بإحدى القنوات وهو يقول للراحلة زينات صدقي: "اتفضلي اقعدي يا مدام" لتصرخ زينات في وجهه بحدة: "مدموزيل من فضلك!!".

وانطلقت من صدر "نور" ضحكة عالية ممزوجة بالدموع والمرارة.

مدموزيل من فضلك

(الوجه الآخر للعملة)

أدارت "نور" المفتاح في ثقب الباب بعد عودتها من العمل، ودلفت في سرعة إلى شقتها الصغيرة الأنيقة في حيها الذي تعشقه كثيرًا، ثم أدارت عينيها في أرجاء المكان في انتظار متلهف، لم يدم طويلا، فقد اندفعت من الداخل فتاة صغيرة رائعة الجمال، صفقت بيديها الصغيرتين في سعادة، وهي تهتف "ماما جت ... ماما جت!!"، ثم لم تلبث أن ألقت بنفسها بين ذراعي (نور) المفتوحتين، فضمتها تلك الأخيرة بحنان، وقبلتها وهي تقول: "كم أوحشتني يا صغيرتي!! هل قضيت وقتًا لطيفًا مع طنط (حبيبة) والأطفال؟"

وقبل أن تتلقى إجابة من الصغيرة (مريم)، برزت (حبيبة)، الأخت الصغرى لـ (نور) من وراء الستار الأنيق الذي يفصل الردهة عن الغرف، وهي تقول بمرح: "هل حضرت أخيرًا؟!!... الحمد لله... كان هؤلاء الأطفال على وشك أن يصيبوني بالجنون من فرط شقاوتهم".

أجابتها (نور) بابتسامة واسعة: "لا تقلقي ... غدًا إجازتي الأسبوعية، وليس لديَّ أي ارتباطات، لذا سأحاول أن أرد لك بعضًا من خدماتك الجليلة... يمكنك ترك الطفلين ليقضوا الليلة هنا معي ومع (مريم)، لتستمتعي بليلة هادئة وجميلة مع زوجك، وسأحضرهما إلى منزلكما مساء الغد... ما رأيك؟"

قبلتها (حبيبة) في سرعة، وهي تتناول حقيبة يدها على عجل، وتتجه نحو باب الخروج، قائلة: "عرض كريم لا يمكنني رفضه بالطبع، إلى اللقاء إذن قبل أن تغيري رأيك".

أجابتها (نور) بضحكة مرحة أعقبها صوت انغلاق باب الشقة، فالتفتت

تلك الأخيرة إلى الأطفال، قائلة في حماس: "والآن... من يريد أن يتناول عشاءه وينهيه بالكامل، ليحصل بعدها على الهدية الرائعة التي أحضرتها له؟"، فصرخت مريم والطفلان على الفور: "أنا... أنا".

ساعات من المرح والسعادة الصاخبة قضتها (نور) مع الأطفال أثناء تناول العشاء ومشاهدة فيلم رسوم متحركة جميل، إلى أن بدأ الهدوء يسود المكان نسبيًّا بعد أن خلد ابنا أختها الصغيران إلى النوم، وأعقبتهما (مريم) بعد أن منحت (نور) قبلة المساء واستمعت لحدوتة قبل النوم..

وجلست (نور) على المقعد المقابل لفراش الصغيرة، وهي تتأملها في حب وحنان، وشردت بأفكارها بعيدًا وهي تقول لنفسها: "أدين لك يا حبيبتي بكل ما أنا فيه من سعادة وراحة... من يدري كيف كان سيصبح حالي لولا دخولك في حياتي؟!"

كانت (نور) في بداية الأربعينيات من عمرها، لكنها كانت تبدو أصغر كثيرا، بفضل رشاقتها وضآلة جسدها وحرصها الدائم على أناقتها، وكانت آنسة... نعم لم يسبق لها الزواج أبدًا، ولم تسنح لها الفرصة يومًا لتحمل جنينًا في أحشائها!

ورغم ذلك لم تندم يومًا على قرارها بعدم الزواج، ولم تلقِ بالًا أبدًا لفكرة المجتمع المتخلفة عن المرأة غير المتزوجة... فقد كانت مقتنعة تمامًا في كل مرة رفضت فيها الزواج من إنسان غير مناسب لم يرَ فيها أي شيء يميزها عن غيرها من النساء، ولم يلقِ بالًا لرفضها

متوجهًا في اليوم التالي إلى غيرها... لم تقابل في حياتها إنسانًا واحدًا أحبها بحق، وحتى عندما أحبت لم تستطع قبول الزواج ممن أحبته بعد أن علمت أنه لم يبادلها يومًا مشاعرها، ولم يتقدم لها إلا لينتقم من أخرى أصرت على رفضه!

كانت ترى الزواج علاقة مقدسة جميلة لا بد وأن تقوم على الحب والتفاهم بين الطرفين، وتقبل كل منهما لعيوب الآخر وظروفه. لم تتقبل أبدًا فكرة أن يكون الزواج صفقة، ولم يكن بمقدورها الزواج لمجرد الإنجاب، كما لم تقتنع أبدًا بالمثل القائل "ظل رجل ولا ظل حائط" والذي طبقه الكثير من الفتيات للحاق بقطار الزواج، والتخلص من شبح ذلك اللقب البغيض "عانس"، والذي رفضته (نور) تمامًا، ولم تسمح يومًا لتلك الكلمة بأن تفسد عليها حياتها.

فقد اجتهدت لسنوات في عملها، وأتقنته، وأخذت تترقى في المناصب، لتزداد ثقة رؤسائها بها، ويزداد دخلها تدريجيًّا، كما أكملت دراستها الأكاديمية في نفس الوقت، إلى أن حصلت على الدكتوراه في سن مبكرة مقارنة بزملائها، لكنها رفضت العمل بالتدريس في الجامعة، وفضلت الاستمرار في عملها الذي تعشقه وتحقق ذاتها من خلاله. لم تترك ساعة واحدة فارغة في وقتها، وحرصت دومًا على شغل أيامها بما يفيد. فإلى جانب العمل، حصلت في فترة المساء على دورات تدريبية مختلفة لتتقن المهارات التي تهواها، كعزف البيانو، والرسم، وتعلم اللغات الأجنبية، وخصصت كذلك بعضًا من وقتها للذهاب بشكل منتظم إلى (الجيم) وممارسة الرياضة للحفاظ على رشاقتها،

كما قامت بحفظ عدد من أجزاء القرآن الكريم، وأسهمت في العديد من الأعمال الخيرية.

بعد وفاة والديهما، ظلت أختها الصغرى أقرب صديقة إلى نفسها، ورفيقتها الدائمة في كل مكان، إلى أن تمت خطبتها، وبدأت تنشغل تدريجيًّا في حياتها الخاصة. لكن (نور) لم تسمح حتى بإضعاف علاقتهما الجميلة، فحرصت على تكوين صداقة متينة مع خطيب أختها – زوجها حاليًّا- وكانت دومًا تلعب دور الحكم الذي يلجأ إليه الطرفان لحل أي خلاف بينهما، مع حرصها دومًا على ترك مساحة من الخصوصية لهما بحيث تعرف جيدًا متى يكون عليها الانسحاب، لذا لم يشعرا أبدًا بضيق من وجودها.

لكن رغم كل الأنشطة الجميلة والمفيدة التي كانت تحرص على الانغماس فيها طوال الوقت، شعرت (نور) بوحدة حقيقية بعد زواج (حبيبة) ومغادرتها المنزل، وهنا بدأت مشاعر الأمومة تؤلمها لأنها لم تعد تجد من تعتني به وتكرس حياتها من أجله، حتى إنها بدأت تفكر جديًّا في أن تكفل طفلًا من إحدى دور رعاية الأيتام التي تتردد عليها من حين لآخر لزيارة الأطفال وتقديم بعض الهدايا لهم. لكن قبل أن تشرع فعليًّا في تنفيذ فكرتها، أرسل الله لها ملاكًا صغيرًا لينير حياتها ويملأها بهجة وانشغالًا... جاءت (مريم)!

حدث ذلك عندما وقع حادث مفاجئ في أحد الأيام، ذهب ضحيته شاب وزوجته يمتان بصلة قرابة بعيدة لأسرة (نور)، وتركا خلفهما طفلتهما الصغيرة الجميلة التي لم تكمل عامًا واحدًا، لتصبح وحيدة

في هذه الدنيا، لا تجد من يرعاها بعد وفاة جدتها الوحيدة التي كانت باقية من أسرتها بعد شهر واحد، حزنًا على وفاة ابنتها وزوجها.

وفي عزاء الجدة، الذي حضرته (نور)، سمعت حديثًا يتردد حول إيداع الصغيرة (مريم) إحدى دور رعاية الأيتام لعدم وجود من يرغب في تربيتها من الأقارب. وهنا لم تتردد (نور) لحظة، وعلمت أن الله قد أرسل لها هدية من السماء، فتدخلت على الفور ورفضت تمامًا إيداع الطفلة ملجأ الأيتام، وتعهدت بأن تكفلها، وتكون مسئولة عنها ماديًّا واجتماعيًّا حتى تكبر.

وهكذا عادت البسمة لتنير وجه (نور)، وأضاءت الفرحة كل أركان منزلها، بمجرد دخول الصغيرة إليه. ومند ذلك الحين أصبحت تعيش من أجلها، وتعتبرها ليس فقط كابنتها، ولكن أيضًا عملها الصالح الذي ترجو أن يتقبله منها الله ليصبح تذكرتها إلى الجنة.

كان عليها بالطبع الاستمرار في العمل لتأمين حياة كريمة لـ (مريم)، وهنا برزت لها (حبيبة) كالمنقذة، فهي لم تعمل بعد الزواج، ورحبت كثيرًا برعاية (مريم) مع أطفالها يوميًّا لحين عودة (نور) من العمل، على أن تقوم تلك الأخيرة برعاية الأطفال جميعًا كلما سمح وقتها بذلك، لتحظى أختها بالقليل من الوقت الجميل مع زوجها بعيدًا عن الضجيج الذي يصنعه الأطفال. وقد أسهم هذا الاتفاق أيضًا في تقوية العلاقة بين الأختين، وضمن لهما التواصل بشكل يومي رغم مشاغل الحياة.

أفاقت (نور) من شرودها، لتطبع قبلة حانية على جبين (مريم)، ثم

تحكم الغطاء على ابني أختها وتقبلهما بالمثل، ثم غادرت الغرفة في هدوء، وأغلقت الباب خلفها.

وفي صالة الاستقبال، جلست قليلًا لمشاهدة التليفزيون، قبل أن تذهب لتنام بدورها... كانت إحدى القنوات تعرض فيلمًا كوميديًّا قديمًا، ظهر فيه البطل وهو يقول للراحلة زينات صدقي: "اتفضلي اقعدي يا مدام" لتصرخ زينات في وجهه بحدة: "مدموزيل من فضلك!!".

وهنا انطلقت من صدر "نور" ضحكة عالية مليئة بالثقة، دون أن تترك العبارة في نفسها أي أثر سلبي.

نسيم الحرية

تسللت (ندى) مع صديقاتها في صمت، وحرص شديد على عدم إحداث أي صوت قد ينبه السجان القاسي الذي يحتجزهن قسرًا داخل هذا المكان، وفشلت كل المحاولات لإقناعه بإطلاق سراحهن.

أخذت (ندى) تتحسس طريقها بحذر في الظلام، وهي تحاول بث الطمأنينة في نفوس صديقاتها، هامسة: لا تقلقن يا صديقاتي العزيزات... لقد حفظت طرقات المكان جيدا، وتدربت على السير في الظلام دون الاصطدام بأي عائق... اصمدن قليلًا... لقد أتى أخيرًا اليوم الذي انتظرناه جميعًا..

وصل الجمع إلى منفذ الخروج الوحيد الذي أهمل السجان إحكام غلقه، وبعد فتحه، تسلل هواء الليل المنعش ليلفح وجه (ندى)، التي تنفست بعمق محاولة ملء رئتيها بالنسيم العليل ... نسيم الحرية، وارتسمت على وجهها ابتسامة أقل ما توصف به أنها رائعة، وهي تقوم بهمة وسرعة بإدلاء صديقاتها الواحدة تلو الأخرى عبر منفذ الخروج، بعد أن تلف حول خصر كل منهن حبلا متينًا وطويلًا، بينما ربطت طرفه الآخر في قائم حديدي متين، وعندما انتهت من إنزالهن جميعًا، شعرت بالراحة والاطمئنان، ولوحت لهن بكفها، والدموع تترقرق في عينيها، وودعتهن قائلة: انجين بأنفسكن يا صديقاتي... سأحاول اللحاق بكن في أقرب فرصة، لكني لن أستطيع مرافقتكن الآن... لا بد أن أبقى لإلهاء السجان، ومنعه من ملاحقتكن، أما أنتن فاستمتعن بنسيم الحرية، ولا تعدن إلى هنا أبدًا... إلى اللقاء... إلى اللقاء أيتها الجميلات!!

وكما وصلت إلى هذا المكان في صمت، عادت أدراجها إلى زنزانتها وأغلقتها عليها كما كانت.

وفي الصباح عندما استيقظت، وجدت حالة من الاستنفار في المكان، وحالة بحث وتفتيش دقيقة عن صديقاتها في كل ركن بلا جدوى، وكلما تم سؤالها: "أين ذهبن؟؟ هل قمت بإخفائهن؟" تظاهرت بالبراءة، وقالت: "لا أفهم عما تتحدثون... لقد كن هنا في المساء، ولا أعلم أين ذهبن بعد ذلك!!"

وفجأة دق أحدهم على الباب بقوة، وبمجرد فتحه، اندفعت إلى الداخل سيدة ممتلئة وهي تحمل كيسًا بلاستيكيًّا متوسط الحجم.
نظرت أم (ندى) بدهشة إلى زوجة البواب أثناء تقدمها إلى داخل الشقة حتى أقرب منضدة، وهي تتساءل في نفسها عما تريد، وبمجرد وصول السيدة إلى المنضدة، قامت بإفراغ محتويات الكيس البلاستيكي عليها، وهي تسأل: هل هذه الدمى تخصكم؟!!
برز والد (ندى) من الداخل فجأة، وتقدم بخطوات عسكرية حازمة نحو السيدة ملقيًا نظرة سريعة على عرائس ابنته الموجودة على المنضدة، وفي خصر كل منهن حبل مربوط بعناية، وهو يجيب، قبل أن تفتح أم (ندى) فمها بكلمة: "نعم... إنها تخصنا... أين وجدتها؟"
أجابت زوجة البواب: كانت كل منهن مربوطة بحبل كما ترى يا أستاذ (شديد) وملقاة في الشارع، أسفل نافذة غرفة الضيوف الخاصة

بكم، وكما تعلم الشقق التي تقع في الطوابق السفلية ليس بها أطفال، فشقة الدور الثاني مغلقة ولا يوجد بها أحد، وشقة الدورالأول عيادة طبيب وليس بها أطفال، لذا فكرت أنها ربما تخص ابنتكم (ندى).
أجابها الأستاذ (شديد) في حزم: حسنا ... لقد فهمت... شكرًا يا أم (عبده)... يمكنك الانصراف الآن.

انصرفت (أم عبده)، وهي تلوم نفسها على الحضور، دون أن تتأكد أولًا من عدم وجود الأستاذ (شديد) بالمنزل، فهي تعلم الآن أن (ندى) الصغيرة في مأزق كبير، وأنها ستتلقى عقابًا شديدًا على ما فعلت!
وبمجرد أن سمعت باب الشقة يغلق، بعد انصراف (أم عبده) زوجة البواب، جرت الصغيرة (ندى) ذات الخمس سنوات من العمر إلى غرفتها، وأغلقتها عليها بالمفتاح من الداخل، وسرعان ما سمعت صوت والدها يهدر في الخارج، وهو يطرق باب الغرفة بعنف: "اخرجي أيتها اللعينة... لماذا ألقيت بلعبك إلى الشارع؟، وما ذلك الحبل المربوط في خصر كل دمية؟؟ من الآن لست فقط ممنوعة من الخروج من المنزل، لكنك أيضا لن تقفي بشرفة المنزل، أو تطلي من إحدى النوافذ... لن تحصلي على أي لعب جديدة، ولن تذهبي حتى إلى المدرسة... أتفهمين؟ ألا تعلمين كم تكلفني هذه الألعاب التي تلقينها بإهمال من الشباك أيتها الغبية... لو فعلتها مجددًا، سألقي بك من النافذة كما تفعلين بالدمى!!!"
أخذت أم (ندى) تحاول تهدئة الأستاذ (شديد)، وهي تقول له: "إنها

في النهاية طفلة، والأمر لا يستحق كل هذه الثورة من جانبك... الحمد لله أنها لم تحاول إلقاء نفسها من النافذة مع العرائس".

أجاب الأب في قسوة: "ليتها فعلت، وأراحتنا من مشاكلها التي لا تنتهي"، ثم أزاح الأم عن طريقه بعنف، ودخل إلى حجرته صافقًا الباب بقوة.

وعندما جلست الأم مع ابنتها، وسألتها لماذا فعلت ذلك؟، وما سر ذلك الحبل المربوط في خصر كل دمية، أجابتها (ندى) وهي تبكي بحرارة: "أردت أن أنقذ صديقاتي الحبيبات من السجن الذي أعيش فيه، ولا أستطيع مغادرته يا أمي، حاولت مساعدتهن حتى يستطعن الذهاب للحديقة واللعب وسط الزهور والفراشات، وحتى يذهبن إلى المدرسة دون أن يمنعهن أحد، وحتى يستطعن اللعب أمام مدخل المنزل مع الفتيات الأخريات... لطالما طلبت منك أنت أيضًا يا أمي أن نرحل من هنا، لكنك ترفضين."، ثم أكملت في حماس وهي تشير إلى عرائسها العائدة: "هل تعلمين يا أمي؟ (نوسة) تريد الذهاب إلى معهد الباليه، و(تيتي) تريد أن تأتي ابنة الجيران لتلعب معها دون أن تخاف من صوت بابا العالي، وأن تذهب هي أيضًا أحيانًا لتلعب معها في منزلها ، أما "روني" فتريد الذهاب لمكان يوجد فيه كمبيوتر، كالذي تراه في التليفزيون وتتعلم اللعب عليه... لقد أخبرنني بأحلامهن يا أمي... لذا حاولت مساعدتهن على الهرب ليستطيعن تحقيقها"

ربتت والدة (ندى) على كتفها في حزن، ثم ضمتها إلى صدرها، وهي تقول محاولة إقناعها: "إن والدك يخاف علينا كثيرًا يا بنيتي...

لا بد وأن هذا هو ما يجعله يمنعنا من الخروج من المنزل لقضاء احتياجاتنا، أو زيارة أقاربنا أو أصدقائنا، وهو لا يحب الإزعاج لذا لا يسمح بوجود هاتف أو كمبيوتر في المنزل، ولم يكن لديه متسع من الوقت لاصطحابك إلى معهد الباليه وإعادتك منه بانتظام، لذا رفض التحاقك به... هذا كل ما في الأمر"...

وبعد أن خلدت (ندى) إلى النوم ودموعها تغرق وجهها، كانت الأم تشعر برعب حقيقي، وتخشى أن تلقي الصغيرة بنفسها من النافذة في المرة القادمة بدلًا من الدمي، في محاولة للهروب من المنزل الذي تطلق عليه اسم السجن، والسير على طريق الحرية. تذكرت كم عانت ابنتها المسكينة، وكيف حرمت من أبسط المتع التي يحظى بها الصغار في مثل سنها... كم كان نياط قلبها يتمزق وهي تراها مرارًا وتكرارًا تقف ممسكة بقضبان شرفة المنزل الحديدية كالسجينة تراقب بحزن وأسى أطفال البناية وهم يمرحون ويلعبون في مدخل المنزل الواسع الكبير... كانوا في البداية ينادون عليها ويدعونها للنزول ومشاركتهم لعبهم، لكنها كانت تجيبهم في حزن أن والدها يرفض خروجها من المنزل، وعندما حاول بعض الأطفال في إحدى المرات الصعود لشقة ندى ومحاولة إقناع والدها، لم يحاولوا تكرارها أبدًا مرة ثانية بعد أن أحرجهم جميعًا، وحدثهم بطريقة قاسية قائلًا إنها ابنته وهو حر فيما يفعله معها. أما أيام الأعياد، فكانت مأساة حقيقية، ففي البداية تكون (ندى) في قمة سعادتها وفرحتها قبل العيد، وهي تنسق بعناية ثوبها الجديد (إذا أحضر لها أبوها واحدًا) مع الحذاء

والحقيبة ومشابك الشعر، حالمة بأن يأخذها والدها كما وعدها مرارًا وتكرارًا في نزهة في العيد، لكن ما تلبث سعادة الصغيرة أن تتحول إلى إحباط وحزن وبكاء عندما ينقض والدها عهده مثل كل مرة، فإما يخرج وحده تاركًا إياها وأمها وحيدتين بالمنزل بعد أن يحكم إغلاق باب الشقة عليهما من الخارج، وإما أن يقضي الإجازة كلها نائمًا في سريره، رافضًا القيام بأي نشاط من أي نوع، لينتهي الأمر بـ (ندى) في وقفتها المعتادة بشرفة المنزل، وهي ترتدي ملابس العيد، وعلى وجهها تسيل الدموع الحارة، وهي تراقب الأطفال في مرحهم ولهوهم من خلف القضبان. وتنهدت الأم في حسرة وألم، وهي تلعن سوء حظها الذي حرمها من الحصول على قسط وافر من التعليم يكفل لها الحصول عمل ودخل معقول يُمكّنها من الانفصال عن ذلك الجبار المتسلط، الذي وضعها وابنتها في سجن بحجة غيرته عليها، وخوفه على ابنتهما، وكلما حاولت مناقشته وحثه على تخفيف الحصار عنهما قليلا، كان نصيبها الإهانة والضرب والتهديد بالطرد في الشارع كالكلاب وحرمانها من رؤية ابنتها.. لكم تمنت أن تربي ابنتها الحبيبة في بيئة طبيعية تكفل لها الراحة النفسية، والتعبير عن أفكارها وممارسة هواياتها بحرية. لكن في ظل عجزها هي عن فعل أي شيء، ومع كونها يتيمة الوالدين وليس لها أقارب، كان عليها أن تصبر، وعلى ابنتها أن تتحمل، وأن تكبر وتنهي تعليمها وتحصل على عمل لتعتمد على نفسها رغم كل الصعاب، فهذا وحده سيكون أملها الوحيد في السير على طريق الأمل... واستنشاق نسيم الحرية.

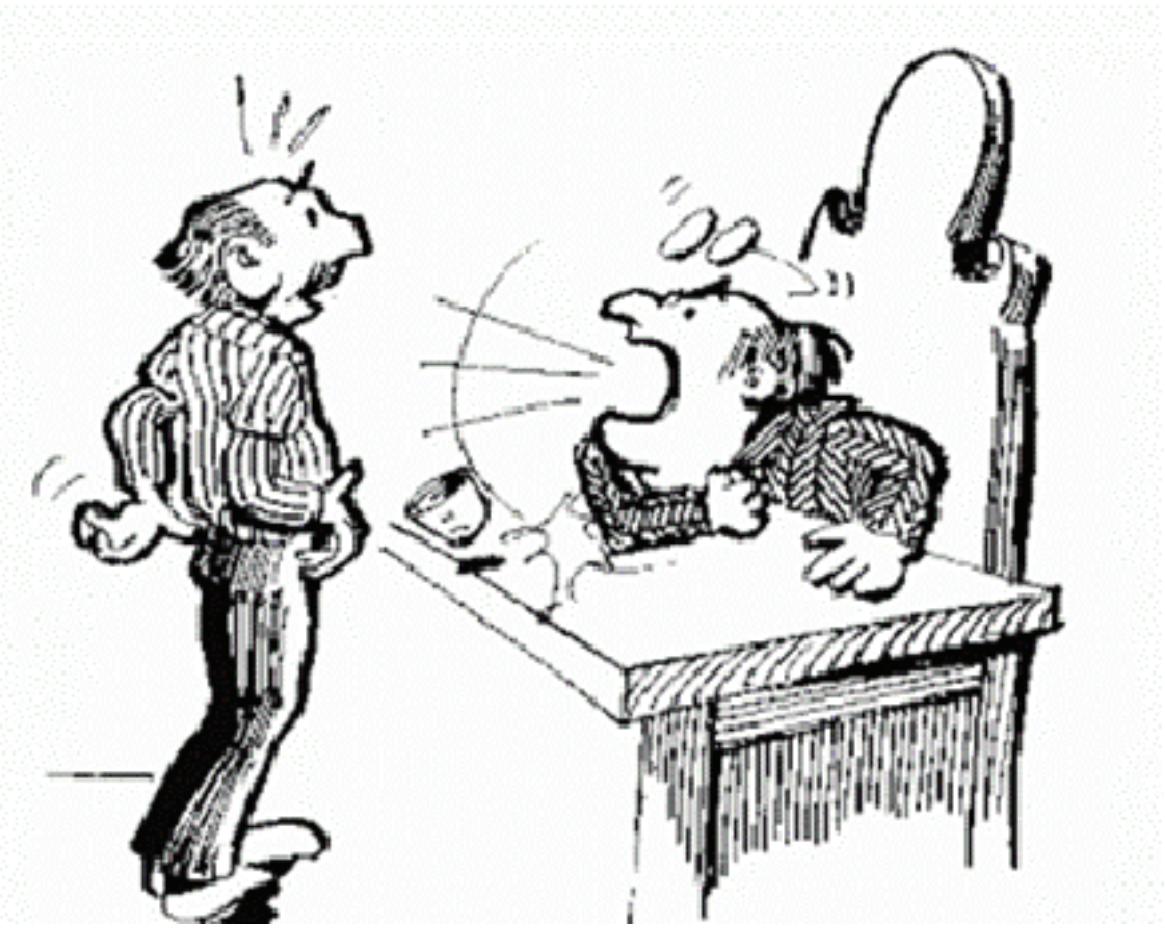

"كـــــــوســـــــة»

- خطأ... هذا الأمر لم يكن ينبغي له أبدًا أن يعالج هكذا !! من الذي أنجز هذا العمل؟!

وبمجرد سماعي لصوته أدركت أنني المقصود بالكلام ... ومن غيري؟!

- إنه أنا يا سيدي .. أنا الذي قمت بهذا العمل .

- أنت! دائما أنت! ... ألن تتعلم أبدًا؟ ستظل دائما ترتكب هذه الأخطاء الفادحة ... لماذا لم تتبع ما علمتك إياه أيها الغبي؟!

- ولكن ... ولكن يا سيدي أنا لم أفعل سوى ما وجهتني سيادتك لفعله وما علمتني إياه عندما بدأت العمل هنا و ...

قاطعني صوته الهادر وهو يصرخ :

- وأيضا تجادل وتكذب .. عندما أتحدث يجب ألا ترد يا أفندي! ..

ولا تنسَ أنك لا زلت في فترة الاختبار أي أنه يمكنني أن أكتب تقريرًا يوصي بعدم صلاحيتك للعمل كما يمكنني إحالتك للتحقيق و.....

وصممت أذنيَّ عن باقي إسطوانة التقريع المعهودة التي أعرفها جيدًا والتي لم أسمع سواها منذ استلمت عملي بهذه الجهة الحكومية المرموقة، والتي لا يعمل بها في الغالب إلا ذوو الوساطة و المعارف القوية جدًّا جدًّا، وإنما جاء عملي أنا بها من قبيل الصدفة البحتة أو كما يقولون (ربك لمّا يريد!).

لقد تخرجت في إحدى كليات القمة منذ أكثر من أربع سنوات، وكنت وقتها أظن أن مؤهلي الجامعي و تقديري العالي سيعوضان فقري وانعدام معارفي من ذوي الحيثية ، وانطلقت أبحث بكل قوتي وقروشي

القليلة، وتقدمت لكل الأعمال المناسبة لمؤهلي سواءً كانت قطاع عام أو خاصًّا وفوجئت بالنتيجة وهي الفشل الذريع ... وصُدمت بالطبع ولكني لم أيأس.

وبدأت أبحث من جديد عن أي عمل عادي يمنحني راتبًا يمكنني من خلاله زيادة إمكانياتي بالحصول على دورات في الكمبيوتر واللغات، وحينما فشلت أيضا في ذلك ونفدت قروشي القليلة - مع علمي بعدم إمكانية أسرتي تحمل المزيد من الأعباء - قبلت العمل تارة كبائع في محل ملابس وأخرى كموظف أمن وثالثة كمسئول عن قسم البقالة بأحد محلات السوبر ماركت .....

لم توقفني نظرات الشفقة في عيون البعض، والشماتة في عيون البعض الآخر .... لم يوقفني تخلي خطيبتي عنى لأنها أشفقت على نفسها من طول المشوار ... تألمت وتعذبت ولكني لم أتراجع عن حلمي بأن أجد لي مكانًا يليق بعلمي وثقافتي وإمكانياتي على أرض وطني ...

وبالفعل أخذت في رفع قدراتي بالحصول على الدورات المختلفة، كما حصلت على دبلومة في الدراسات العليا، وبجوار كل ذلك لم أتوقف عن البحث .. ولم تتغير النتيجة!

وبالطبع كانت تنتابني كل فترة حالة من الاكتئاب واليأس والإحساس بالعجز، ولكني لم أكن أسمح لها بأن تدوم لأكثر من أيام معدودة، فالفقر لا يسمح لك عادة برفاهية الاحتجاج أكثر من ذلك!

ومضت الأيام وأنا أقابل فشلًا تلو الآخر في الحصول على عمل لائق، ودون أن أنجح حتى في ادخار أي مبلغ من المال لأن كل ما

أعمل به كنت أنفقه في البحث عن عمل، والحصول على الدورات التدريبية المختلفة بالإضافة إلى الاحتفاظ على الأقل بطاقم مناسب من الثياب يضمن لي مظهرًا لائقًا عند التقدم لأي وظيفة.

ملخص القول إنه بعد مضي أربع سنوات كاملة على تخرجي قابلت بالصدفة أحد زملاء الدراسة القدامى والذي استطاع باتصالاته الحصول على وظيفة مرموقة بتلك الهيئة الحكومية المميزة والتي تتبع أعلى الجهات في الدولة، وأخبرني زميلي أنه توجد فرصة للحصول على وظيفة مماثلة وأن إعلانًا داخليًّا قد تم نشره بهذا الشأن، وأنني إذا أردت يمكنني التقدم وإن كانت فرصتي ضعيفة لأن من بين المتقدمين لهذه الوظيفة ابن فلان بك وابنة فلانة هانم و .....

وأذهلتني الأسماء التي سمعتها، ولكني لم أتردد فقد اعتدت أن أقوم بواجبي، وأترك الباقي على الله.

وتقدمت للاختبار، وأنا أعلم مسبقا أنني لن أُقبل في هذه الوظيفة، ولكني اجتهدت في الحل على مدى ثلاث ساعات هي مدة الاختبار ...

ومضت عدة شهور على هذه الواقعة، ثم فوجئت بزميلي المذكور يتصل بي تليفونيًّا ليخبرني بأنه قد تم اختياري للوظيفة!!!

وظننت في البداية أنه يمزح ولكنه أقسم لي إنها الحقيقة قائلًا:

- لا أدري كيف حدث هذا ؟ ... ولكنك فزت بالوظيفة !! ..مبـــارك يا رجل!!!.

وتهللت فرحًا، وتقافزت في الهواء ... وأخذت أضحك تارة وأبكي تارة أخرى كالمجاذيب ... والتفت إلى أمي أغمرها بالقبلات .. لقد

أنصفني الزمان بعد طول عناء!...

ولم تدم فرحتي طويلًا، فمن اليوم الأول، استقبلني رئيسي بابتسامته الصفراء التي لم أتفاءل بها أبدًا، ومنذ ذلك الحين وهو يكيل لي الإهانات والتهديدات بفصلي وكتابة التقارير السوداء في حقي رغم اجتهادي الشديد في عملي الذي نلته بعد طول انتظار.

وكل مرة كنت أحاول تجنب غضبه بالتدقيق أكثر في عملي، والاستماع لملحوظاته وتنفيذها حتى وإن كنت أجدها أحيانا سخيفة، ولكن دون جدوى للأسف!! ... فكل خطأ لا بد وأن يكون خطأي وحدي... وكل مشكلة لا بد وأن أكون أنا سببها الرئيسي...

وبتدقيق الملاحظة والتقاط الكلام الذي يتناثر هنا وهناك علمت سبب معاملة رئيسي السيئة لي، وهو أنني الوحيد في إدارته الذي يعمل دون وساطة أو معرفة بشخصية مرموقة بينما الآخرون ليسوا كذلك والمثل الشهير يقول (اللي له ضهر ....) تعلمون الباقي بالطبع!!

وهكذا فمديري العزيز لا يمكنه أن يلوم أيًّا من زملائي على خطئه، كما لا يستطيع محادثتهم بطريقة غير لائقة، ولكن بالنسبة لي الأمر مختلف بالطبع!!

كما علمت أن الصدفة الغريبة التي جعلتني أفوز بالوظيفة هي أنهم قد خشوا تعيين ابن فلان بك فتغضب فلانة هانم ، أو تعيين ابنة فلانة هانم فيغضب فلان بك. وهكذا اضطروا لاعتماد نتيجة الاختبار الحقيقية لأن المكان المتاح كان لموظف واحد فقط، وبهذا يحدث تعادل لكلا الطرفين ويتخيل كل منهما أن من حصل على الوظيفة

جاء عن طريق سلطة أعلى منهما !!!
قد لا تصدقوني ... ولكنها الحقيقة العارية ... هكذا تسير الأمور في بلدنا صاحب الحضارة العريقة والتاريخ الطويل!!
والأدهى من ذلك أنه بعد مضي بضعة أشهر من الويل والعذاب رحمني الله من ذلك المدير الذي يكرهني بلا سبب عندما تم نقله خارج القاهرة لكي يحصل على منصبه آخر يحمل سلطة ومعارف أعلى منه ...
والعجيب أنه قبل رحيله من المكتب لآخر مرة أخذ يهلل قائلًا :
- لا يوجد عدل في هذا الزمان ... لقد أصبحت (الكوسة) هي التي تتحكم في كل شئ!
ولكني أخشى ألا تكتمل فرحتي هذه المرة أيضًا، فقد سمعت أن مديري الجديد له ابن يحمل نفس مؤهلي، وأنه يتمنى لو يحصل ولده على وظيفة في نفس إدارته .... وأدركت صحة مخاوفي عندما دخل المدير الجديد في الصباح، وكان أول ما سأل عنه وهو يكشر عن أنيابه هو:
- أين المـــوظف الجدييييد؟!

- ألم أقل لكم ؟

بدايـة قصـــــة

في العام الأول بالجامعة كانت صداقتهما وتلازمهما الدائم في كل خطوة أول ما لفت انتباهها في البداية ... كان أحدهما مفرط الطول .... أسمر البشرة مجعد الشعر، بينما كان الآخر على النقيض تمامًا يميل إلى القصر قليلًا... أبيض البشرة وناعم الشعر... كان طريق ذهابهما وعودتهما من محطة مترو الأنفاق وحتى الجامعة كل يوم هو نفس طريقها... وكانت هي دائمًا وحيدة في الذهاب والعودة، وغالبًا ما كانت تراهما يسبقانها بخطوات، ورغما عنها كانت تتأمل في تناقضهما الظاهر وارتباطهما الوثيق البادي في الألفة الكبيرة بينهما والمزاح المتواصل وروح المرح الجميلة التي تلفهما طوال الطريق.

كانت أحيانًا تسمع بعض الزميلات أو الزملاء يتندرون على فارق الطول بين الصديقين، أو يتحدثون عن كونهما من أحد الأقاليم القريبة من القاهرة وأنهما يضطران للسفر يوميًّا للحضور للجامعة... وفي أحد الأسابيع بدأت تلاحظ اختفاء الصديق الثاني، ليبقى الطويل الأسمر وحده مواظبًا على الحضور يوميًّا وعلى متابعة كل الأمور التي تخص صديقه من شراء كتب أو ملازم والرد نيابة عنه ليعلن أنه مريض إذا سأل عنه أحد الأساتذة خلال المحاضرات. وكان الأمر الثاني الذي أثار إعجابها هو إخلاص ذلك الفتى الشديد لصديقه الغائب وحرصه على مصلحته لأقصى درجة، وكذلك اجتهاده في الدراسة وإصراره على الحضور يوميًّا رغم مشقة الطريق.

ولأنها كانت لا تستهويها أحاديث الفتيات الفارغة حول الموضة

وعمليات التجميل التي قامت بها الممثلة الفلانية أو غيرها من حوارات البنات، كانت تفضل البقاء داخل قاعة المحاضرات في انتظار المحاضرة التالية بدلًا من مرافقة الزميلات للكافتيريا أو للتمشية قليلًا في أروقة الجامعة.

وكان هو في الغالب يبقى أيضا في الداخل مع عدد قليل آخر من الطلبة والطالبات، لكنه كان دائمًا ما يصنع حوله هالة غريبة تجذبها، فقد كان معتادًا على الجلوس مكان المحاضر متحدثًا للآخرين في مرح وبابتسامة أقل ما توصف به هو أنها كانت تضيء المكان بالكامل وعينين عسليتين تشعان بالحيوية... لا مانع من أن يقوم بتقليد أحد الأساتذة بخفة دم ربانية، أو يلقي بعض النكات التي كانت تضحكها من قلبها حتى لو لم تكن جديدة، أو يدندن بإحدى الأغنيات، وكان صوته جميلا بحق.

وإلى جانب كل ذلك، كان يحرص دائما على اقتسام الطعام الذي تعده له والدته مع أصدقائه في ود وطيبة وبساطة تخطف القلوب.

ويوما بعد الآخر وجدت نفسها تنتظر الوقت المستقطع بين المحاضرات، وتضع رأسها على مسند مقعدها متظاهرة بالاسترخاء لبضع دقائق لتركز في الفصل بين كل أصوات الموجودين بالقاعة لتستمع له فقط، وتتخيل أنه يغني لها هي وحدها، فتختلس بعض السعادة التي تخرجها من وحدتها وأحزانها وكل المشاكل الأسرية التي تعانيها في المنزل.

كان كذلك الأكثر تعاونًا بين الزملاء الذكور، فإن أراد المحاضر

مساعدة البعض في إحضار بعض الكتب الثقيلة من مكتبه وتوزيعها على الزملاء، كان هو الوحيد تقريبًا الذي يتطوع، وكانت تجد نفسها تلقائيًّا تتطوع معه لمجرد الإحساس بمشاركته شيء ما وتبادل بعض الكلمات العارضة معًا.

إن طلب المحاضر تحضير الدرس القادم، وتجهيز الشرح على السبورة، كانت تتاح فرصة أخرى كذلك ليتعاونا في هذا الأمر.

لم تكن هناك أي أحاديث خاصة بينهما، لكنها كانت سعيدة، تكفيها مراقبته من بعيد أو مشاركته أي نشاط خاص بالدراسة كلما أتيحت الفرصة، أو حتى اختلاس النظرات له أثناء المحاضرات، ولو حدث والتقت عيناها بعينيه تجد نفسها وقد تسمرت دون أن تقوى على النظر لأي جهة أخرى كما لو كانت قوة مغناطيسية خفية تجذبها له.

كل ما كانت ترجوه هو أن تتيح لها الظروف يومًا فرصة حقيقية للتقرب منه، لأن الخجل كان يمنعها من اتخاذ أي خطوة مباشرة، وكذلك خوفها من أي انطباع خاطئ قد يأخذه عنها.

ومضى العام الأول بهذا الشكل، وخلال الإجازة الصيفية تأكد إحساسها بالاشتياق إليه، حتى إنها كانت تقضي نهارها كله تقريبًا بشرفة المنزل تنظر لوجوه المارة، وتتمنى لو يتصادف حضوره للقاهرة ومروره لأي سبب من الأسباب أمام منزلها لتراه ولو للحظة تعينها على الانتظار حتى عودة الدراسة.

خلال العام الثاني تأكدت مشاعرها أكثر وأكثر من خلال بعض الأحاديث العارضة التي تبادلاها معًا، وأدركت أنها قد وقعت في

الحب لأول مرة في حياتها، وأصبح كل أملها أن تكون أيضًا الأخيرة... كانت تعني بالطبع أن يبادلها يومًا مشاعرها ليكملا المشوار معًا ويرتبطان للأبد...

لكن... لهذا قصة أخرى تختلف تفاصيلها تمامًا لدرجة جعلتها فيما بعد تتمنى كثيرا لو كان الأمر قد توقف عند مجرد الأماني والأحلام الخيالية والحب من طرف واحد... لدرجة جعلتها تتمنى لو أنها لم تقترب منه يومًا قط، ولم تكتوِ بناره... تتمنى لو أنها اكتفت دومًا بمراقبة نجمها العالي من بعيد وكفت تمامًا عن آلاف المحاولات الفاشلة للقفز وإمساكه بيديها المتلهفتين.

الأصيـــــــل

- آ...آييي آى !!

لم أستطع كتمان صرخات الألم بداخلي أكثر من ذلك، ولكن هذا لا يهم فلن يسمعها أحد غيري على أي حال!

ها هي الإبرة اللعينة تعود لتنغرز في أنسجتي من جديد ...أما من نهاية لهذا العذاب يا إلهي!

ورغم كل آلامي احتملت، وصبرت كالعادة من أجل صديقي (محمد) .... فأنا أيها السادة البنطلون الوحيد الذي يملكه!

نعم هذه هي الحقيقة، فمنذ تخرج (محمد) العام قبل الماضي في كلية الهندسة بعد عناء سنوات هذه الدراسة العملية – التي تستحق عن جدارة اسم السنوات العجاف – لم ينجح للأسف في العثور على عمل مناسب، أو حتى غير مناسب ! فحتى عندما تنازل عن أمله في الحصول على عمل بمؤهله الجامعي، لم يستطع احتمال الإهانات المتواصلة التي كان يتلقاها في أي عمل بسيط من الأعمال العديدة التي التحق بها، من رؤسائه الذين يكاد بعضهم يعجز عن فك الخط! والنتيجة أن كرامته قد أبت عليه أن يكمل العمل لأكثر من أسبوع واحد، ليتركه وهو محطم الآمال، فاقد الثقة في كل ما حوله، ومن حوله..

ولكن والدته الطيبة كانت تستقبله دائمًا بكل حبها، وحنانها لترفع من معنوياته وتعيد إليه الأمل، فيعود للبحث من جديد بلا جدوى حتى بليت ملابسه التي لا يملك غيرها، والتي أنا جزء هام منها بالطبع!

انتهت الأم الطيبة من إصلاح الأجزاء التي تمزقت فيّ بفعل القدم،

وكثرة الاستخدام... وها أنا بعد الغسيل والكي أصبحت أمت من جديد بصلة لعالم الملابس.

كم فكرت في الانهيار، والاستسلام لتلك الآلام والتمزقات التي تملأني، ولكني كنت أعود وأتذكر (محمد) المسكين الذي لا يملك من حطام الدنيا سواي ، فأضطر للتحامل على نفسي وأخضع مستسلمًا لمحاولات الأم المستميتة لرتقي وإعادة رونقي إليَّ .

كنت في إجازة بدأت منذ فترة عندما عاد (محمد) يومًا إلى المنزل بعد جولة بحث فاشلة أخرى، وكان يائسًا ومحطمًا حتى إنه قد حبس نفسه في المنزل منذ ذلك الحين، ورفض أية محاولات من أسرته أو أصدقائه لحثه على الخروج من حجرته، وعدم الاستسلام لليأس حتى لا يدمر نفسه.

ولكن منذ عدة أسابيع زاره أحد أصدقائه، وأخبره نبأً جعله يتقافز في الهواء من الفرح، فقد أنبأه صديقه هذا بأن أحد أقاربه من الأغنياء قد افتتح فرعًا آخر لشركته الهندسية، وعينه هو فيها ، وطلب منه ترشيح عدد من زملائه المهندسين الشباب للعمل معه في هذا الفرع الجديد.

وقد وقع اختيار الشاب على (محمد) ضمن مجموعة المهندسين الذين انتقاهم.

وهكذا، خرج (محمد) من قوقعته، وها هو الآن يستعد للذهاب لعمله بعد أن انتظم فيه، وسعد به جدًّا لأنه قد أعاد له ثقته في نفسه، وفي قدراته كمهندس، بالإضافة إلى طموحاته وآماله كشاب في مقتبل العمر.

ولكنه اليوم كان أكثر سعادة ومرحًا وهو يداعب أمه قبل الذهاب إلى العمل، فقد كان هذا هو اليوم الموعود ... يوم تسليم الأجور للعاملين بالشركة.

وبالطبع كنت سعيدًا من أجله، حتى كدت أبكي من الفرح. ولكن سرعان ما استبد بي القلق، وعصفت بنفسي الهواجس عندما خطر ببالي فجأة أن أول ما سيفعله (محمد) بمجرد استلامه لراتبه الكبير من الشركة هو.....

قطع أفكاري صفير إعجاب طويل انطلق من بين شفتيَّ (محمد)، وهو يتوقف فجأة أمام واجهة أحد المحال التجارية.. وتحولت شكوكي في لحظة إلى يقين ، فقد كان متجرًا للملابس الجاهزة!

وبينما أخذ (محمد) يتأمل بانبهار تلك القمصان والبنطلونات الفاخرة، ويتخيل شياكته وأناقته عندما يرتدي تلك الثياب... كانت الدموع تسيل مني أنهارًا، وأنا أتخيل نفسي وقد تحولت إلى خرق قماش بالية تستعملها أم (محمد) في مسح ذرات الغبار من على قطع الأثاث ،أو في تنظيف المطبخ!

- أهذا هو جزاء إخلاصي واحتمالي طوال تلك السنوات؟!

- أهكذا يكافأ الأصيل في هذا الزمان!!.... واخسارتاه!

.....

- وهكذا يا أطفالي كان تعييني في تلك الشركة هو الخطوة الأولى التي ساعدتني على بناء مستقبلي، وانهال عليَّ الخير بعد ذلك بسبب

اجتهادي في عملي، وتقدير صاحب العمل لمجهودي، حتى أصبحت أمتلك بدلًا من القميص والبنطلون اليتيمين، صوانًا كاملًا يعج بأحدث صيحات الموضة من الثياب، وودعت أنا وأسرتي أيام الفقر للأبد.

ابتسم (محمد) وهو ينطق بهذه الكلمات موجهًا إياها لأولاده ، ثم اتجه إلى صوان ملابسه وفتحه مضيفًا:

- ولكني لم أنسَ ملابسي القديمة، ولم أتخلَ عنها، فخصصت لها مكانًا دائمًا في صوان ملابسي، لكي أتذكر كلما نظرت إليها ما عانيته سابقًا ، فيكون هذا حافزًا دائمًا لي لمساعدة الشباب الذين يمرون بنفس الظروف التي عايشتها من قبل، ولأن هذه الثياب عزيزة جدًّا على نفسي، فقد احتملت معي الظروف الصعبة التي مررت بها في بداياتي، قبل أن يرزقني الله بما أرفل فيه من نعم الآن.

امتلأت نفسي بالفخر- وأنا معلق على مشجب أنيق جنبًا إلى جنب مع أحدث الصيحات من الثياب الأنيقة - لأني أنتمي لهذا الرجل ...

الأصيل!

المحظوظة

عندما يتيح لك القدر البدء في ممارسة أمومتك من سن الرابعة، بعد أن تهدي لك والدتك ملاكًا صغيرًا وتطلب منكِ أن تكوني المسئولة عن رعايته، فأنتِ بالتأكيد محظوظة!

وعندما تخلصين في أداء دوركِ لدرجة تجعلكِ تطعمين طفلتكِ الصغيرة (الفازلين) ظنا منكِ أنها تحب تناوله - بعد أن رأيت والدتك أكثر من مرة تضعه على شفتيها -وتقدمين لها في مرة أخرى بعضًا من طعامك أنت المفضل (الكاراتيه)، ويسترها الله وتأتي والدتك في الوقت المناسب لإنقاذ الرضيعة في كل مرة، إذن فأنت بلا شك... محظوظة ☺

وإذا قدر لك الله أن تري اللحظة التي خطت فيها ملاكك الصغيرة خطواتها المتعثرة الأولى، ثم بعد سنوات قليلة رافقتها أثناء التقاط أول صورة رسمية لها بالاستوديو المجاور للمنزل استعدادًا للالتحاق بالصف الأول الابتدائي، وكنت أنت من راقبها بسعادة وحب وهي تكبر أمام عينيك يومًا بعد يوم، وأنت من قدم لها ملف أوراقها في المدرسة الابتدائية، ثم الإعدادية، فالثانوية، وحتى مكتب تنسيق القبول بالجامعة، فماذا تكونين إن لم تكوني محظوظة؟!

وعندما كان محظورًا عليكما مغادرة المنزل لأي سبب من الأسباب بفرمان سلطاني ديكتاتوري، ووافقت ابنة عمرك على مرافقتك في مغامرة مجنونة ذهبتما خلالها للتمشية قليلًا ولتناول الآيس كريم اللذيذ من محل عم (مدبولي) الشهير الذي يبعد حوالي خمس محطات

أتوبيس عن بيتكما، ثم في طريق العودة رأيتما والدكما بالصدفة عائدًا من عمله، ورغم ذلك نجحتما في ألا تجعلاه يراكما، ووصلتما إلى البيت عدوًا قبل وصوله، وغيرتما ثيابكما وجلستما معًا في براءة تنتظران دخوله من باب البيت، وتشعران معًا بالنشوة والسعادة لنجاح مغامرتكما الصغيرة، فلا بد وأنك كنت محظوظة!

أما عندما كنت تحرصين في كل عام على إهداء جوهرتك الغالية كارت معايدة تصنعينه لها يدويًّا بإمكاناتك المتواضعة في الرسم وأدواتك البسيطة، وكانت تستقبله منك دومًا بسعادة وفرحة من تلقت هدية عيد ميلاد تساوي مليونًا من الجنيهات، فهل عليَّ أن أذكرك بأنك محظوظة؟!

وإذا كانت الوحيدة في أسرتك التي شاركتك لأعوام طويلة متابعة المسلسل الصابوني (The Bold & The Beautiful) في عصره الذهبي، عندما كان يذاع يوميًّا على القناة الثانية في التسعينيات، وكنتما تدخران معًا مصروفكما البسيط يوميًّا لشراء بعض الحلوى والمقرمشات والاحتفاظ بها حتى موعد المسلسل لتلتهماها معًا أثناء المشاهدة، فهل الحظ السعيد له مسمى آخر؟! والحال نفسه عندما تكون هي الوحيدة التي تشاركك الآن هواية مشاهدة المسلسلات الكورية الرائعة التي لا تحظى بالشعبية الكافية في مصر بعد، وتتسابق معك على البحث عن أي مسلسل كوري جديد وتحميل حلقاته عبر الإنترنت

– خاصة إذا كان من النوع الرومانسي الكوميدي الذي نفضلينه – لتشاهدانه معًا في يوم إجازتكما، وتتناقشان بحماس في الموضوع الذي يطرحه.... آه أيتها المحظوظة!

ورغم أنك ما زلت (سينجل) حتى الآن، إلا أنك بكل تأكيد محظوظة لأنها دائمًا ما تحاول تبديد وحدتك، وتعويضك عن عدم وجود شخص ما في حياتك، فترافقك كل فترة في موعد غرامي إلى السينما، عندما يُعرض فيلم جديد لعادل إمام أو أحمد حلمي أو أحمد مكي، أو ياسمين عبد العزيز. ودائما ما يتحول الأمر لمغامرة لطيفة عندما تصلان إلى دار العرض السينمائي عدوًا بعد بدء الفيلم بالفعل، وتدخلان الصالة في الظلام الدامس تتخبطان في كل شيء، ثم لا تلبثان أن تنفجرا ضاحكتين لتكرر نفس الموقف معكما في كل مرة تقريبًا، وتحاولان فهم ما فاتكما من تفاصيل وقعت قبل وصولكما، أثناء التهام الفيشار اللذيذ من نفس العلبة.

وأنت بالطبع محظوظة مرة أخرى، إذا كانت رفيقة عمرك – رغم تأخرها في عملها وإرهاقها الشديد طوال اليوم- تحرص دومًا على الاتصال بك للاطمئنان على انتهائك من عملك ووصولك المنزل بأمان، بل وربما تمر بسيارتها الصغيرة لاصطحابك من عملك وتوفير مشقة الطريق عليك، مع أن مكان عملك بعيد تمامًا عن طريقها.

وأخيرًا، وليس آخرًا، لا داعي لأن أذكرك كم أنت محظوظة، عندما تشتركين في مسابقة للقصة القصيرة، وتظل هي على أعصابها طوال فترة المسابقة، وتفعل كل ما في وسعها لنشر لينك المسابقة بين كل أصدقائها ومعارفها وترجوهم بحماس أن يشجعوك ويقرأوا ما تكتبين ويصوتوا لصالحك، وعندما تفوزين بالمركز الثاني تظل تؤكد لك أنك الأفضل وأن قصتك كانت تستحق المركز الأول، ويكون كل خوفها ألا تكوني راضية عن النتيجة فتحزني، بينما أنت في الواقع تشعرين في داخلك بسعادة بلا حدود، لأنها بدعمها وتشجيعها ومساندتها لك هي أجمل وأكبر وأهم جائزة حصلت عليها في عمرك كله.

والآن قرائي الأعزاء، إذا كنتم مثلي محظوظين لأن الله قد أنعم عليكم بأخ أصغر أو أخت صغرى، فلتدعوا الله أن يحفظهم لكم من كل شر وسوء ويكتب لهم كل الخير والسعادة.

* إهداء خاص جدًّا وحصري جدًّا إلى ابنتي وفرحة عمري وصديقتي المقربة وأختى الصغرى نضال سمير الشربيني

عن السعـــــــادة

حتى نعرف ما هي السعادة، دعونا نفصل في البداية بين مفهومين: السعادة، والراحة. الراحة هي عامل قد يسهم في شعور الإنسان بالسعادة لكنها لا تكفي وحدها لتحقيقها، بينما السعادة قد تتحقق في بعض الأحيان والظروف دون توافر عوامل الراحة والرفاهية التي تحققها المادة مثلا، لكن غياب الراحة قد يمنع بعض الناس من الاستمتاع بهذه السعادة رغم وجودها.

بالنسبة لي السعادة هي إحساس الفرد بأنه كالزهرة المتفتحة في كامل بهائها وجمالها.. كالفراشة بهيجة الألوان وهي ترفرف بجناحيها في حرية. إحساس يرغب الإنسان دائمًا في الاستزادة منه والاستمتاع به حتى آخر قطرة، لكنه – كالزهرة والفراشة – قصير العمر يمضى بسرعة كالنسيم العليل الذي يهب فجأة وسط ليلة شديدة الحرارة، ولذلك يجب أن نعيش لحظته ونستمتع بها لأننا لا ندري بمنتهى البساطة إن كانت هناك لحظة أخرى أم لا.

ربما لا يدري الإنسان تحديدًا ما هو الطريق الذي يجب أن يسلكه ليصل إلى السعادة، ففي كثير من الأحيان نسعى بكل قوتنا خلف شيء ما أو أمر ما متصورين أن به سعادتنا، بينما الحقيقة أنه يحمل شقاءنا دون أن ندري... تمامًا كالفراشة التي تسعى بكامل طاقتها للوصول إلى النور، وتطارده بكل ما أوتيت من قوة ليكتمل وجودها وتتحقق ذاتها، وعندما تصل إليه تفاجأ بأنه نار تحرقها وتقضي على آمالها. في ظني أننا قد نجد سعادتنا الحقيقية في شيء آخر غير هدفنا الأصلي. لذلك فأنا أرى أن الإنسان يجب أن ينظر دائما إلى ما في

يده، وما استطاع بالفعل تحقيقه ويدرك ماهيته ويشعر بقيمته، وهنا سيسعد ويرضى، لكن إذا أمضى أيامه في البكاء على ما كان يظن أن به سعادته ولم يستطع يومًا تحقيقه سيدخل في دائرة من الحسرة والتعاسة بينما السعادة الحقيقية بين يديه ولا يشعر بها.

السعادة ليست حلما صعب المنال، كما قد يتخيل البعض، فهناك لحظات من السعادة يمكن لكل منا أن يشعر بها، وينتزعها انتزاعًا من الأيام مهما كانت أحزانه، وصعوبات حياته، وعن نفسي أشعر بكل السعادة عند مساعدة الآخرين وإسعادهم... أو عندما أتطلع لوجه طفل بريء يبتسم لي دون أن يعرفني، أو يطبق بأصابعه الصغيرة الرائعة على كفي... يسعدني أيما سعادة التطلع إلى صديقي القمر، وهو بدر في السماء يرافق خطواتي أينما كنت كأنما يطمئن عليَّ ويسهر على راحتي، ويمنحني الأمل في وجود النور حتى وإن كان بعيدًا... يسعدني تقبيل كف أمي لأعبر لها عن القليل جدًّا من امتناني العميق لكل ما بذلته وتبذله من أجلي أنا وإخوتي، وأسعد بلا شك كلما قدرني الله على أداء صلاة الفجر في وقتها، حيث يغمرني إحساس لا يمكنني وصفه. كل هذه اللحظات وغيرها حقيقية ومتاحة لنا جميعا، وإن كان أغلبنا غافلًا عن إدراكها والاستمتاع بها، لانشغالنا الرهيب بمطاردة أهدافنا التي نؤمن أنها ستحقق لنا سعادة طويلة الأمد. إذن فالسعادة ليست وهمًا بجميع المقاييس، إنما هي نوعان: سعادة لحظية متاحة لنا جميعًا، وسعادة طويلة الأمد هي بمثابة الحلم الصعب الذي علينا السعي لتحقيقه، وقد نصل أولًا.

وعن العلاقة بين السعادة والنجاح، أرى أن السعادة طريق للنجاح، وليس العكس، لأن السعادة تبعث في أرواحنا طاقة لا حدود لها، وتمنحنا دافعًا للحصول على المزيد منها، وإكمال أركانها بالنجاح في حياتنا، وعملنا وعلاقاتنا مع الآخرين، وهنا يُوّلِد النجاح المزيد من السعادة الموجودة بالفعل. بينما قد يقابلك النجاح وأنت من داخلك حزين ووحيد، فلا تشعر بقيمته، ولا تفرح به، وتفقد متعة تحقيق هدفك لعدم وجود من يشاركك فرحة هذا النجاح، ويمنحك الدافع لمواصلته وتحقيق المزيد منه.

قد نتساءل كثيرًا لماذا تمر أوقات السعادة بسرعة؟ أعتقد أن هذا يحدث حتى نشعر بقيمة هذه الأوقات الغالية، ونقدرها حق قدرها، فمن طبيعة الإنسان الاعتياد على الأشياء والأوضاع إذا دام وجودها، ومع الاعتياد يشعر بالملل، ويفقد القدرة على التقدير، ومن هنا تمر السعادة أمامنا بسرعة حتى لا نمل منها ونفقد الاستمتاع بها، ونتعلم ألا نضيع لحظاتها القصيرة هباء.

لكن إذا تأخرت علينا لحظات السعادة، وطال غيابها، يجب ألا نفقد الأمل أبدًا، ولا نمل من انتظارها بتفاؤل. هناك قول مأثور يقول "الأمل كلمة كتبها الله على جبين كل إنسان" وطالما آمنا بوجود الله سيظل الأمل بداخلنا باقيًا كالشمعة التي يتوهج ضوؤها لحظات، ويضعف لحظات أخرى، لكنه أبدًا موجود.

سـوء تفـاهم خـالد

لا بد وأن نعترف بوجود اختلافات كبيرة جدًّا، وهوة سحيقة تفصل بين عقل ومشاعر المرأة، وعقل ومشاعر الرجل، ورؤية كل منهما لمفهوم الزواج والارتباط... ربما لو تفهمنا تلك الفوارق، وتأملناها جيدًا، سنتمكن من حل سوء التفاهم الخالد بين هو... وهي.

[١]

هي: منذ فترة، وأنا ألاحظ وجود شيء ما تريد أن تقوله لي، لكنك دائما مرتبك وتتراجع عن الحديث في اللحظة الأخيرة

هو بعد أن مسح عرقه الغزير: آه... نعم ... الأمر وما فيه...

هي: ماذا هناك؟ كلي آذان مصغية.

هو يقدم قدمًا ويؤخر أخرى: كنت أتساءل إذا كنت توافقين على الزواج مني

هي بدهشة كبيرة: لكنك مرتبط بالفعل بخطبة لفتاة أخرى!

هو بلهجة دفاعية: صحيح، وهي فتاة فاضلة لا يعيبها أي شيء... لكني اكتشفت أنها ليست من أحب!

هي: اكتشاف متأخر للغاية، فقد كنت أنا أمام عينيك منذ البداية.

هو: كنت أعمى.

هي بحذر: والآن؟!

هو بلهفة: لو وافقت على الزواج مني، سأحل نفسي من خطبتي لها!

هي بغضب: وما الذنب الذي جنته هي لتنال هذا الجزاء؟! والأهم من

ذلك، إذا كنت مقتنعًا بالفعل أنها ليست المرأة التي تريد الزواج منها، فلماذا لم تنهِ كل شيء معها أولًا قبل أن تبادر بالحديث إليَّ؟!

هو متلعثمًا: لم أكن واثقًا من رد فعلك!

هي بعصبية ساخرة: هذا يعني أني إذا رفضت الارتباط بك، ستكمل مشروع زواجك بها كأن شيئًا لم يكن أليس كذلك؟! ادع الله ألا تعرف تلك المسكينة شيئا عن هذا الحوار، وعن نفسي سأعتبر أنه لم يحدث من الأساس!

هو غاضبًا ومنصرفًا: لقد كنت مخطئًا أني صارحتك بمشاعري!

****

[٢]

هو: أرغب في الارتباط بكِ.

هي: لا سابق معرفة بيننا يساعدني على الرد... عرّفني بنفسك أكثر، واعرفني أكثر، وبعدها فلنرى!

هو: لا وقت لديَّ لكل ذلك، فأنا أعمل خارج الوطن بإحدى الدول، ولا أملك سوى إجازة لمدة أسبوعين، وحيث إنني قد قررت الزواج، فلا بد لي من إنهاء كل شيء في هذه الفترة... أنت تروقين لي، وأنا أمتلك كل الإمكانات المادية للزواج، ولن تحتاجي لأي شيء، وبعد الزواج، سيكون لدينا الكثير من الوقت للتعارف!

هي: أها... إذن، لا داعي لإضاعة وقتك معي، فكل ثانية لديك لها

ثمنها، وأنا على ثقة أن كلا منا لا يصلح للآخر.

هو: سأقدم المهر الذي ستطلبين، والشبكة التي تشرفك أمام أسرتك، وسنسكن في أفضل مكان بالدولة التي أعيش بها.... و...

هي: مات الكلام، وأتمنى لك التوفيق

****

[٣]

هي: نحن كبار وناضجان، ولن أخفي عنك أن هناك مشكلة

هو: ماذا هناك؟

هي بحذر: أهلي يعترضون على زواجنا لأسباب لا أراها أنا منطقية، وقد يحتاج الأمر مني لقليل من الوقت قبل أن أنجح في إقناعهم، لكني واثقة من قدرتي على فعل ذلك... سنحتاج فقط للانتظار قليلًا حتى يمكننا الارتباط رسميًّا.

هو بتوتر: ليست هذه هي المرة الأولى التي يتم رفضي فيها لظروف خارجة عن إرادتي

هي بلهجة مطمئنة وواثقة: من قال إنك مرفوض؟... أنا مقتنعة بك، ولست بقاصر، فأنا كبيرة بما يكفي لاتخاذ قراراتي بنفسي، وأهلي ليسوا سيئين... هم فقط من النوع التقليدي للبشر الذي يرسم خطوطًا محددة لشريك حياة ابنتهم، ولا يتخيلون أن تختلف صفاته عن الشائع.

هو بعصبية: لكن هذا ظلم

هي: أوافقك تماما، ولذا فأنا متمسكة بك، وكل ما أريده منك هو أن تدعمني وتقف معي حتى نتجاوز هذه العقبة البسيطة معًا، وأنجح في إقناعهم

هو: لست على استعداد لخوض معارك خاسرة، ما أدراني أنك لن تفعلي مثل خطيبتي السابقة وتتخلي عني في النهاية؟!

هي: أصابعك ليست متشابهة، ولا أجد أي مبرر يدعوك لأخذي بجريرة ارتكبها غيري. لقد منحتك ثقتي، ولا أطالبك سوى بمبادلتي الثقة بنفسك أولا ثم بي.

هو: الأمر لا يستدعي كل ذلك، كرامتي أهم عندي من كل شيء، وهناك الكثير من الأهالي يمكن أن يقبلوا بي كزوج لابنتهم، وأتمنى لك التوفيق مع شخص آخر.

هي: بهذه البساطة؟!! ياللخسارة ... ظننتك مختلفًا، لكن للأسف....!!! أتمنى لك التوفيق أنا أيضًا!

****

[٤]

هو باحثًا عن مدخل للموضوع: أشفق عليك من كل هذا العمل والمجهود الذي تبذلينه يوميًّا.

هي بلهجة حاسمة: إنه عملي، وهو يعطيني مثلما أعطيه، وقد اعتدت

على المجهود الذي أبذله، ولم يعد الأمر مرهقًا كما كان في البداية.
هو باستنكار: لكنك تركبين المواصلات المزدحمة يوميًّا، وتختلطين بالرجال في العمل!
هي: وماذا في ذلك؟
هو: قد تتعرضين للمضايقات، والسخافات.
هي: لا تقلق بشأني... أعرف جيدًا كيف أوقف كل شخص عند حده، وبالنسبة للرجال، فكل زملائي في العمل أشهد لهم بالاحترام ومراعاة أصول اللياقة... وإذا حدث أن تعاملت في أي مكان مع من لا يعرف تلك الأصول، فلا يلوم إلا نفسه في هذه الحالة!
هو مُلمّحا: لكن ما رأيك لو تقدم لك من سيوفر لك كل متطلباتك، ولن يجعلك في حاجة لأي شيء أبدًا، هل تتركين العمل في هذه الحالة؟
هي باستغراب: ولِمَ أتركه؟ هل تظن أن حاجة المرء للعمل مادية فقط؟ عملي يمنحني الخبرة والتقدير والنجاح والثقة بالنفس وتحقيق الذات، وأشياء أهم كثيرًا من المال.
هو: الزوج المحترم هو من يوفر كل احتياجات زوجته، ويصونها من أي من مشاكل قد تواجهها خارج المنزل، ويغار عليها من مخالطة الرجال.
هي بتحدٍّ: ليست غيرة، بل عدم ثقة، ولست بحاجة لحارس خاص لحمايتي، وإنما لزوج يقدّرني ويتقبلني ويفرح بنجاحي ويساندني في فشلي ويثق في حكمي على الأمور، فمن الطبيعي أنني سأترك العمل من نفسي في حالة وجود أية مضايقات لا أستطيع التعامل معها...

عملي قراري وحدي، وهو جزء مهم من شخصيتي.

هو مجادلًا: لكن العمل سيؤدي بالفعل لتقصيرك في شئون المنزل....

وكيف سيكون الحال عندما ترزقين بطفل؟!

هي: ببساطة، سأتصرف وفقا للظروف، فإذا فشلت بالفعل في التوفيق بين عملي وبيتي، فلا بد أنني سأمنح الأولوية لبيتي... أما مسألة الإنجاب هذه، فالحديث فيها سابق لأوانه، لأن الأطفال رزق من الله لا يعلم أحد متى يحين موعده، ولكل مقام مقال.

هو: لكن ماذا إذا ظل ذلك الشخص مصرًّا على تركك العمل بمجرد الخطبة؟

هي: هل تعني أنه يشترط تركي العمل لإتمام الزواج؟!

هو: بالضبط.

هي: إذن، فلا داعي لإضاعة وقته معي أنا بالذات لأني لا أقبل أبدًا عرضًا مشروطًا بالزواج، أيًّا ما كان الشرط، وما دام كل ما يسعى إليه هو أي زوجة بلا عمل، فهناك الكثيرات ممن لا يعملن، ولا طموح لديهن، وسيجد من بينهن مراده ببساطة!

هو مصدومًا: لكنك بذلك ستخسرين شخصًا يحبك!

هي: يحبني؟! صدقني يا عزيزي... ليس هناك حب مشروط!

****

[٥]

هو: هذه هي المرة الثالثة التي نلتقي فيها منذ قامت صديقتك بتدبير لقائنا الأول، متى يمكنني الحضور لطلب يدك رسميًّا؟

هي بأسف: هذا ما حضرت اليوم لأتحدث فيه... إنك شخص محترم ومهذب، وتتمناك الكثيرات، لكني لم أشعر بأي شيء خاص نحوك في المقابلة الأولى، وحاولت تبديد ذلك الإحساس من خلال اللقاء الثاني الذي دعوتني إليه، لكن للأسف إحساسي لم يتغير

هو: بمعنى؟

هي بارتباك: أعني ... أتمنى لك التوفيق مع الإنسانة التي تناسبك.

هو بعدم تصديق: راجعي نفسك، فستندمين بالتأكيد على هذا القرار!

هي: لست من النوع الذي يندم على قراراته طالما اتخذتها عن اقتناع، وأنا أرى أن قراري صحيح.

هو بإصرار: لاحظي أنك قد تجاوزت الثلاثين من عمرك، وقد لا تسنح لك فرصة أخرى للزواج من شاب مثلي مقتدر ولديه الشقة والسيارة والوظيفة المرموقة... وأيضا لم يسبق له الزواج!

هي بابتسامة واثقة أثناء نهوضها للمغادرة: ألم أقل لك أني قد اتخذت القرار الصحيح؟!

****

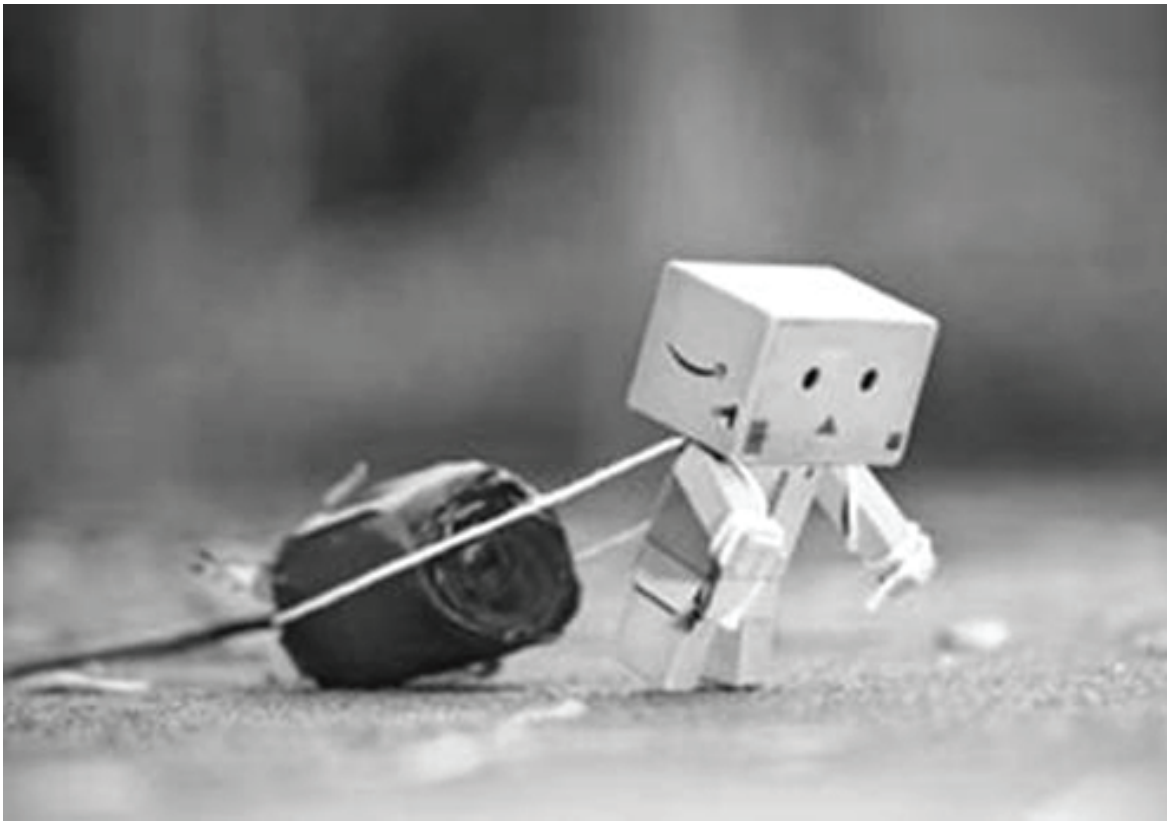

نساء لا تستحق الحب

(١)

هي غاضبة: لو أنك فعلًا تحبني، لبذلت كل جهدك لتمنحني كل ما أستحق.... ما الذي يميز ابنة خالي عني ليحضر لها خطيبها شقة تمليك في حي راقٍ، وشبكة غالية الثمن، وها قد وعدها أيضًا بإهدائها سيارة؟!

هو بصدق وحنان: لو تعلمين حقًّا كم أحبك، ما تفوهت بمثل هذا الكلام الذي يجرحني... إنني أتمنى لو أستطيع أن أصنع لك قلادة من نجوم السماء، وليس فقط إهداؤك الشقة التمليك والسيارة والمجوهرات... لكنك تعلمين ظروفي، وأني لا أبخل عليك بأي شيء طالما كان في استطاعتي، فماذا أفعل؟

هي بإصرار: لديك الكثير لتفعله، لكنك لا تريد... لقد علمت من شقيقتك أنك قد تلقيت عرضًا مغريًا للعمل في دولة عربية براتب شهري خيالي ومميزات لا يمكن مقاومتها، لكنك قررت الرفض.

هو: سأرفض لأن من شروط العقد ألا أكون متزوجًا كي لا يشغلني شيء عن العمل الشاق لساعات طويلة، وهذا يعني أنه لن يمكننا الزواج قبل أن ينتهي العقد الذي يستمر لأربع سنوات، وأنا لا أستطيع الابتعاد عنك كل هذه الفترة، وخاصة أنهم لن يسمحوا لي بالعودة في إجازة إلا مرة كل عامين، فأنا أحلم بإتمام زواجنا اليوم قبل غدٍ.

هي بدهشة واستنكار مصطنعين: يااااااه... لم أكن أعلم أن الشروط مجحفة لهذه الدرجة... ثم أردفت بدلال: أنا أيضًا لا يمكنني احتمال بعدك كل هذا الوقت يا حبيبي... لكن... إذا كان ذلك من أجل ضمان

مستقبل أفضل لنا ولأولادنا فيما بعد... لِمَ لا ننتهز مثل هذه الفرصة التي قد لا تتكرر مرة أخرى؟! اقبل من أجلي إذا كنت فعلا تحبني، وسأنتظرك حتى تعود لي سالمًا غانمًا

هو باعتراض واهٍ: لكن...

هي بانقضاض حاسم: ليس هناك لكن، الحياة فرص، وها قد جاءت فرصتنا.... توكل على الله

وبعد ٤ سنوات:

هو مترنحًا من الصدمة ومواجهًا إياها: بمجرد أن عدت سألت عنك لأن أخبارك انقطعت عني في الفترة الأخيرة، ولم تردي على مكالماتي أو رسائلي، لكنهم يقولون أن قرانك قد عقد مؤخرًا على شخص ما... قولي إن هذا كذب... قولي إنه لم يحدث!! لقد كان سفري من أجلك وبإيعاز منك في الأساس، ولقد وعدتني أن تنتظريني... أهذا جزاء حبي وإخلاصي لك، ورغبتي في إسعادك وتوفير كل طلباتك؟!

هي بثبات محاولة التبرير: الزواج قسمة ونصيب يا عزيزي كما تعلم، وقد طالت غيبتك ولم أستطع الصمود أمام ضغط أهلي لأقبل الزواج من العريس الجاهز المتقدم لي... سامحني، وأتمنى لك السعادة مع الإنسانة المناسبة لك.

هو منتبها فجأة: وماذا عن الشقة التمليك التي حولت لك كل ما كنت أربحه حتى تشتريها.

هي أثناء استعدادها للرحيل: لم تكن موجودًا لتوقع عقد الشقة، فوقعته أنا باسمي، ولن أستطيع أن أردها لك الآن، لكن يمكنني أن أمنحك

ثمنها على دفعات، كلما رُزق زوجي بمبلغ فائض عن الحاجة!

****

(٢)

هي بخجل: لم يمضِ على خطبتنا الكثير، مع ذلك أشعر بسعادة كبيرة وأنا معك، وكنت أتمنى لو يمكننا قضاء أوقات أطول معًا، والتنزه كلما أردنا، لكن والدي يتشدد كثيرًا، ويصر ألا نتواجد بمفردنا إلا بعد عقد قراننا.

هو بلهفة وفرحة حقيقية: هل تعنين أنني إذا فاتحته الآن في عقد قراننا، لن يمانع؟

هي: أبدًا، فقط فاتحه ولا تخشَ شيئًا

هو بعد يومين: والدك طلب كتابة مؤخر كبير في عقد القران، ولا أرى مبررًا لذلك، وخاصة أنني قد قدمت الشبكة والمهر بالمبلغ الذي حدده.

هي بدلال: إنه إجراء شكلي فقط، فوالدي يحبني وهذه وسيلته للاطمئنان على مستقبلي.... أم أنك تنوي الانفصال عني يومًا؟!

هو: أنا؟!! ألا تعلمين أني حين ذهبت لأداء العمرة، كان دعائي الوحيد إلى الله أن تكوني من نصيبي؟!

هي: وها هو الله يريد أن يحقق لك ما طلبت، فلا تعقد الأمور يا حبيبي

هو باستسلام: إني على استعداد لفعل أي شيء لأسمع هذه الكلمة الجميلة مجددًا!

بعد بضعة أشهر

هي في الهاتف: كنت واثقة أن ارتباطك بها لن يدوم، فأنا عشقك الأول والأخير

هو٢: في الحقيقة أنا ما زلت أحبك، لكن ما الفائدة الآن وقد عقدت قرانك على شخص آخر؟!

هي بحزن: صحيح، وهو بصراحة يعشقني ولا يؤخر لي أي طلب، إنما ماذا أفعل وأنا قلبي معلق بك أنت؟!... ثم أردفت: لكن المهم، لو فرضنا جدلا أني لم أعد مرتبطة....

فالتقط هو مبادرتها مكملا: سأتقدم لك على الفور

وبعد أسبوعين

هي باكية: لم أعد أحتمل أكثر من ذلك... إنك دائمًا مشغول، ولا تهتم بي، ووالدتك لا تطيقني، وتتفنن في إساءة معاملتي كلما رأتني، كما أنك بخيل وكلما أحضرت لي شيئًا أجده رخيصًا يخجلني أمام أهلي.

هو١ مبتلعًا الإهانة ومحاولًا السيطرة على أعصابه: ألا ترين أنك تتجنين عليَّ، ومنذ فترة أصبحت تفتعلين الشجار والمشاكل كلما التقينا؟ كما أنك تتهربين كلما طلبت منك أن نناقش موعد زفافنا... ماذا هناك؟ لماذا تغيرت معاملتك لي بعد أن كانت تملأك اللهفة لعقد قراننا؟

هي بحدة وعصبية: أنا لم أتغير... كل ما هنالك أنني اكتشفتك على حقيقتك أنت ووالدتك الحيزبون التي تكرهني وتكيد لي، كما وصلتني أخبار لهثك خلف النساء في كل مكان، وقد شكوت لأبي، وهو يحذرك

إن لم تطلقني بهدوء وتدفع مؤخر الصداق بالكامل، سيتصرف معك بأسلوبه الخاص..

هو١ وقد فاض به الكيل: لا أسمح لك بإهانة والدتي، أما أخلاقي وإخلاصي لارتباطنا يعلمه الله، ولذا أراد أن يكشفك لي الآن... هل كل ذلك كان من أجل الحصول على مؤخر الصداق؟! اعلمي إذن أني على استعداد لدفع أضعاف المبلغ لك ثمنًا رخيصًا لتحرير نفسي من الارتباط بفتاة مثلك.

****

(٣)

هو معاتبًا عبر الهاتف: لماذا لم تحضري في موعدنا؟!... لقد انتظرتك أكثر من ثلاث ساعات، وكلما اتصلت بك أجد هاتفك مغلقًا!

هي أثناء ضبطها لنظارتها الطبية فوق أنفها: موعدنا؟! آه... يبدو أنني قد نسيت تدوين هذا الموعد في جدولي اليومي، وكان هاتفي مغلقا لوجودي داخل ندوة علمية مهمة.

هو معاتبًا بحنان: لقد قلقت عليك، وكذلك أردت أن أقدم لك هدية عيد ميلادك

هي بعدم اكتراث: عيد ميلادي؟! يااااااه صحيح إنه اليوم... شكرًا على اهتمامك

هو: ماذا عن الغد إذن؟ لقد حجزت تذكرتين لحفل رائع مساءً في دار الأوبرا، وستكون فرصة طيبة لتعويض موعد اليوم واستلام هديتي

التي أتمنى أن تنال إعجابك.

هي بتعجل لإنهاء المكالمة: لا أظن أنه سيكون باستطاعتي لقاءك في الغد أيضا، فلا بد أن أنتهي من إعداد بحث مهم، وبالنسبة للهدية لم يكن هناك داعٍ لأن تكلف نفسك، ويمكنك أن تمر على منزلنا في أي وقت وتسلمها لأمي إذا شئت... آسفة سأغلق الآن حتى أذهب لمكتب الدكتور المشرف على رسالة الماجستير الخاصة بي.

هو محبطًا: وفقك الله!

بعد شهر

هو فرحًا: لم أصدق نفسي عندما اتصلت بي يا حبيبتي، وطلبت مني الحضور لمقابلتك اليوم... لقد اشتقت إليك كثيرًا... وأسعدني أن تبادليني الاهتمام.

هي متحاشية النظر إلى عينيه: آه... طبعًا طبعًا، لكن في الحقيقة لم يكن اشتياقي لك فقط هو السبب في رغبتي في لقائك....

قاطعها متلهفًا: هل فكرت في الموعد المناسب لإتمام زواجنا كما طلبت منك في آخر مرة؟

هي بارتباك: ليس بالضبط... الأمر وما فيه أنه قد تم اختياري للسفر في بعثة إلى الخارج للحصول على الماجستير ثم الدكتوراه.

هو مصدومًا: ماذا؟!... لقد كنت أعلم منذ أن تقدمت لك مدى حرصك على استكمال دراستك وتحقيق النجاح العملي، ولقد مضت ثلاث سنوات منذ خطبتنا وكلما فاتحتك في موضوع إتمام زواجنا، طلبت مني الانتظار حتى تناقشي رسالة الماجستير... ولكن ما الذي تقولينه

الآن؟ أنا لم أمانع في مساندة طموحك العلمي ولم أقف يومًا في طريق نجاحك، ولكن لكل شيء حدودًا... لِمَ لا تحصلين على الماجستير والدكتوراه من مصر كما كان مقررًا من قبل؟

هي مبررة: إنها فرصة العمر بالنسبة لي، ولا أستطيع بصراحة أن أضيعها مني... الحصول على الشهادات العليا من الخارج سيتيح لي فرصًا أفضل بالتأكيد بالنسبة لمستقبلي العملي مقارنة بحصولي عليها من هنا.

هو ثائرًا لأول مرة: وأين أنا من كل خططك، ومواعيدك وطموحاتك؟ ألم تفكري فيَّ ولو لمرة واحدة في حياتك؟ ما المفروض عليَّ فعله في حالة بقائك في الخارج لخمس سنوات أو أكثر حتى يتحقق لك ما تريدين؟!! ... عليك الآن أن تقرري أيهما فرصة العمر التي لن تعوض بالنسبة لك: تحقيق نجاح عملي باهر بالخارج مع خسارة خطيبك الذي ما زال يحبك رغم كل إهمالك وعدم تقديرك له ... أم الرضا بنجاح مقبول في الداخل مع إتمام زواجنا وتوزيع اهتمامك بالعدل بين بيتك وطموحاتك العملية؟

هي أثناء خلعها لدبلة الخطوبة من إصبعها ووضعها على المائدة: أنا آسفة!

الحائرتان

وقفت "رنا" وشقيقتها الصغرى "شمس" على قارعة الطريق، وقد اعترتهما الحيرة وظهر الخوف بأقصى درجاته على وجهيهما الجميلين البريئين.

كانت الفتاتان تقفان عند مفترق طرق يتفرع لثلاثة اتجاهات مختلفة، بينما ينتشر الضباب حولهما بشكل يعوق الرؤية ويسبب لهما الرعب والفزع.

- "أيًّا من هذه الطرق نتخذ يا "رنا"؟!" تساءلت الصغيرة "شمس" في حيرة وخوف.

أحاطت "رنا" كتفي شقيقتها بذراعها في حنان، وحاولت أن تبث في أعماقها ثقة تفتقر هي نفسها إليها فقالت:

-" لا تخافي يا حبيبتي... سنهتدي للطريق الصحيح إن شاء الله، وإذا اختلط علينا الأمر يمكننا دائمًا أن نعود من حيث أتينا"

والتفتت خلفها وهي تشير إلى الطريق الذي جاءا منه معًا، لتشهق في فزع، وتضم أختها إليها أكثر وأكثر...

- " لقد ... لقد اختفى الطريق يا "رنا"!! اختفى الطريق الذي أتينا منه، وارتفع خلفنا هذا الحائط المرعب"

صرخت "شمس" بهذه الكلمات وهي تنكمش ملتصقة بجسد شقيقتها الكبرى.

صمتت "رنا" قليلًا وهي لا تدري ماذا تقول لتهدئ من روع "شمس"، ثم لم تلبث أن حاولت التماسك، لتبتسم في وجهها قائلة:

- "اهدئي يا "شمس" أنا معك لاتخشي شيئا، ولنعتبرها لعبة مسلية،

ولغزًا علينا حله لنفوز بجائزة قيمة... ما رأيك؟ هيا سنحاول معرفة أيًّا من هذه الطرق هو الذي يجب أن نسلكه".

وأمسكت بيدها في رفق وحنان، وهي تمسح بيدها الأخرى دموع الخوف التي سالت على وجنتيها الصغيرتين.

- "حسنا يا "رنا" لكن أرجوك لا تتركيني وحدي".

وقبل أن تجيبها "رنا" من جديد بعبارة مطمئنة انبعث عن يمينهما صوت غليظ يقول:

- "تفضلا من هنا أيتها الأختان الفاضلتان... مكانكما هنا حيث طريق الخلاص والإيمان".

انطلقت صيحة فزع من حلق "شمس" والتصقت أكثر وأكثر بجسد "رنا" التي حاولت أن تسبر بعينيها حجب الضباب الذي يخيم على كل شيء، وميزت بصعوبة كهلًا يقف في الطريق الأيمن... لم تتبين شيئًا من ملامحه سوى لحية سوداء طويلة تتخللها شعيرات بيضاء تلتهم أغلب وجهه، ويبدو في منتصفها شق عرضي كما لو كان فمًا يبتسم.

وفجأة برز كف الرجل ممتدًا من وسط الضباب، وهو يقول لهما: "معنا ستعيشان في أمان... سترتديان ثياب العفاف والطهر مثل أخواتكما هنا" وأشار إلى ما بدا ككيان أسود كبير ارتعدت كلًّا من الفتاتين عندما وقعت عيونهما عليه، ثم لم تلبث "رنا" أن ميزت في هذا الكيان عددًا من الأفراد تغطيهم ثياب سوداء من رؤوسهم حتى أخمص أقدامهم، وغمغمت في دهشة وخوف: "أهؤلاء هن الأخوات؟!"

أجابها الرجل في حماس:"نعم... يرتدين ما يسترهن عن عيون الفضوليين، ولا يغادرن بيوتهن إلا للضرورة ومع محرم ليحافظ عليهن من شرور المجتمع الكافر وفتنته، ونختار لهن أزواجًا فاضلين يحافظون عليهن ويرعون شئونهن... أقدما ولا تخشيا شيئًا... أقدما .. أقدما!".

انبعث فجأة عن يسار الشقيقتين صوت آخر ناعم ورقيق يقول:

- "بل هنا مكانكما... صدقاني. هنا الحياة تفتح لكما ذراعيها عن آخرهما... حياة تليق بفتاتين جميلتين مثلكما من حقهما الاستمتاع بشبابهما وتجرع مباهج الدنيا حتى آخر قطرة".

تطلعت الفتاتان في دهشة وفضول إلى مصدر الصوت، وإذا بهما تميزان من بين الضباب ملامح شاب وسيم أنيق حليق يجمع في كلماته بين لغتين أو ثلاث في مزيج مدهش، وأكمل الشاب وهو يشير إلى ما خلفه:

- "هنا يا بنات ستعيشان حياة الانطلاق والحرية... تخرجان كما تريدان وتقضيان أوقاتًا ممتعة هنا وهناك... تلبسان أحدث صيحات الموضة مهما بلغت غرابتها... ترقصان وتمرحان دون رقيب أو حسيب، تصادقان من الشباب ما يروق لكما، أو تتركانه وقتما تريدان. ليس من حق أي كائن من كان أن يتدخل في شئونكما، ولا يوجد أي نظام في الكون عليكما الالتزام به، فما خلقت القواعد إلا لنكسرها... أليس كذلك؟!"

- " ولم ينتظر منهما إجابة، وإنما مد كفه هو الآخر إليهما وهو يقول:

"Come on, girls… Be cool!"

ومن خلفه وسط الضباب تبينت "رنا" و"شمس" ما بدا كأجساد فتيات نصفها مكشوف – أو أكثر قليلًا – بينما تتطاير شعورهن الغجرية الشقراء والسوداء والبنية هنا وهناك، مع ارتفاع أصوات المرح في المكان.

وابتسمت "شمس" لأول مرة وهي تجذب "رنا" من ثوبها قائلة:

"هيا يا "رنا"! سنذهب مع هذا الشاب اللطيف، ونحيا في سعادة مع أصدقائه"

جذبتها "رنا" إليها في حذر، وهي تقول:

- "انتظري يا حبيبتي ولا تتسرعي، وتذكري دائمًا أن ليس كل ما يلمع ذهبًا، لكني يجب أن أعترف أن هذا الطريق يبدو جذابًا للغاية"

صرخ الكهل ذو اللحية عن يمينها:

-" لا ... لا يا بنيتي... بل هنا مكانكما... لا تسيرا في طريق الضلال والعياذ بالله، وترفضا طريق الهدى".

صرخت فيه "رنا" بدورها:

- " وما أدراني أيها الشيخ أن ما تدعوني إليه هو الطريق الصحيح... إنه أقرب إلى الموت منه إلى الحياة"

أجابها:"لا تقولي ذلك، بل هو طريقك للحياة الأبدية والفوز بجوائز الإيمان، فما متاع الدنيا إلا إلى زوال"

ترددت "رنا" وهي تدير عينيها في حيرة بين اليمين واليسار، وتمسك بكف "شمس" المستسلمة للقرار الذي ستتخذه أختها أيًّا كان.

كنت أراقب كل هذا المشهد من بعيد، من موقعي على الطريق الثالث الموجود في المنتصف، ويمتد مباشرة أمام الأختين الحائرتين وكل ما عليهما هو السير للأمام في خط مستقيم حتى تسلكاه.

كنت أراقب وأنا أصرخ فيهما:

-"انتظرا.. لا تسمعا كلامهما، ولا تتخذا أيًّا من الطريقين... ليست الجنة مع ذلك الكهل المدعي، فلم يخلقنا الله لننعزل عن الحياة، ونسدل ستارًا أسود على عقولنا وأجسادنا، ونحيا بلا حول ولا قوة يفعل بنا الآخرون ما يحلو لهم. وليست الحياة مع ذلك الشاب الفرح بنفسه، فالحرية المطلقة دون الالتزام بأي معايير أو قواعد لن تؤدي إلا إلى الفوضى، ولم يخلقنا الله عز وجل لنحيا في فوضى، بل لنعبده ونعمر الأرض. لا تلتفتا يمينًا أو يسارًا. فقط امضيا للأمام في طريق مستقيم... تعلما واعملا واختلطا بالناس وتعرفا على أفكارهم.. اختارا من الحياة ما يناسبكما، ولكن اعرفا أولا من أنتما، وبماذا تؤمنان والتزما بذلك ستعبران بإذن الله لبر الأمان"

صرخت بهذه الكلمات بكل قوتي، لكني اكتشفت أن صوتي لم يتجاوز حلقي، فقد أبت شفتاي بكل إصرار أن تنفتحا وتسمحا لكلماتي بالعبور لتجد طريقها لآذان الفتاتين.

واستيقظت فجأة من نومي، وأدركت أنه كان حلمًا، لكني لسبب ما شعرت أنه ليس مجرد حلم، حتى بعد استيقاظي واندماجي في روتين حياتي اليومية.

وظل السؤال يتردد بداخلي:

- " يا ترى أي الطرق اتخذت الأختين؟!"

ودعوت الله من قلبي أن يحفظهما ويصونهما من كل شر.

أقصر الطرق

المكان: مطعم فاخر بأرقى أحياء القاهرة

الزمان: الساعة الثانية صباحًا

تتوقف سيارة فارهة آخر موديل أمام المطعم، وفورًا يهرع من داخل المكان المنتج الشهير هشام الحبيشي ببشرته السمراء، وشعره الأشعث المصبوغ وملابسه المبهرجة فجة الألوان، والتي تفتقر للأناقة والتناسق، رغم أن كل قطعة منها من أغلى الماركات.

ويهبط قائد السيارة متجهًا إلى الباب الخلفي ليفتحه، إلا أن (هشام) يشير له بإشارة سوقية - وبيد تمتلئ بالخواتم الضخمة مع انسيال ذهبي على شكل جنزير كبير يحيط بمعصمه – أن يبتعد، ويقوم هو بنفسه بفتح باب السيارة، راسمًا على وجهه ابتسامة واسعة كشفت عن أسنانه الصفراء، قائلًا:

"أهلًا أهلًا يا ست الكل... الدنيا كلها نورت يا نجمة"

ويتناول بيده الخشنة الفظة يد نجمة السينما الفاتنة الموجودة بالسيارة، ليساعدها على الهبوط، وهي تقول بصوتها الموسيقي العذب: "خير يا هشام... ليه صممت إني أعدي عليك هنا في مطعمك بعد ما أخلص تصوير؟" وأسبلت جفنيها في دلال وهي تستطرد: "الوقت متأخر وأنا تعبانة".

قهقه هشام بصوت عالٍ، وقال وهو يضع كفها في ذراعه بعد هبوطها من السيارة، ويقودها إلى داخل المطعم: "متأخر إيه بس... ادخلي ادخلي يا شيخة لسه بدري... وبعدين هو انت حتباتي من غير عشا يعني... ده أنا مجهزلك عشوة مفاجأة حتاكلي صوابعك وراها".

ترافقه الفنانة إلى داخل المكان، وهي تتتنهد في ضجر، وفي داخلها تلعن الظروف التي جعلت هذا "الجلف" الجاهل من أكبر منتجي السينما، واضطرتها لاحتمال سخافاته، بعد أن أفلس معظم المنتجين أو قللوا من إنتاجهم، وظل هو مستمرًا، لإقبال الناس على "التوليفة" التجارية التي يقدمها لهم في أفلامه.

وفي الداخل، تفاجأت النجمة بأن المطعم خالٍ تمامًا من الزبائن، وحتى العاملين، إلا القليلين فقط ليقوموا على خدمة صاحب المكان وضيفته، أما الطاولة التي سيجلسان إليها، فكانت كبيرة دائرية تتوسط المكان، وعليها فخذ كبير مشوي من الضأن المدفون في الأرز، وطبقان كبيران من شوربة الكوارع، بالإضافة إلى الممبار، وأنواع أخرى من الأطعمة الشعبية المشهورة وزجاجات البيرة "المشبرة".

وتراجعت المرأة إلى الخلف وهي تشهق في حدة، هاتفة: "أوه! إيه ده يا هشام!"

علت ضحكته، وهو يقودها للجلوس: "مش بقولك مفاجأة... أنا أصل ما ينفعنيش الأكل الخواجاتي اللي بيعملوه هنا في المطعم، فجبت الطباخ بتاعي من البيت، ووصيته يعملك أكلة ترمي بيها عضمك بعد تعب التصوير. وعلى فكرة، أنا كمان كلمت المحل عندي، وقولتلهم يبعتولك ع البيت ١٠ كيلو لحمة انتركوت مشفية إنما إيه مملكة... ألف هنا وشفا"

جلست النجمة في تأفف، وهي تلعن حظها العثر، وأخذت تقلب بالملعقة في طبق الحساء الموضوع أمامها، وهي تفكر في حيلة للهروب من

هذا المأفون بلباقة، والعودة لمنزلها، لكنها لاحظت شيئا يلمع في الطبق وسط قطع الكوارع، فأخرجته بالملعقة في حذر، لتجده عبارة عن خاتم ماسي ضخم، لا يساير ذوقها، لكنه يساوي الكثير، فشهقت في لهفة: وقالت: ”هشام! مش معقول... إيه ده!“

فأجابها: ”روح قلب هشام من جوه... ما تتجوزيني بقى“.

نظرت إلى الخاتم في تردد، قائلة:“أنت فاجأتني... أنا كنت فاكراك عازمني عشان تعرض عليَّ أكون بطلة فيلمك الجاي، لكن جواز! وبعدين انت متجوز تلاتة !“

رد عليها مستنكرًا“وايش جاب لجاب... هما حاجة وانت حاجة تانية خاااااالص... جاتهم الهم... وبعدين الشرع حلل أربعة، وأنا مليش في الحرام“.

أخذت تهز رأسها بعنف، محاولة طرد الفكرة منها، وهي تردد: ”لا لا مستحيل.... معلش يا هشام مش حقدر“، وهمت بالنهوض، إلا أنه أمسك معصمها بعنف ليعيدها لمقعدها، وهو يهتف: ”استني بس يا ست الكل رايحة فين.... الكلام أخد وعطا برضه ولا إيه؟... أنا بالصلاة ع النبي حكتبلك مزرعة العجول الكبيرة بتاعتي بالقصر اللي فيها وتبقى مهرك... ما انت عارفاها... والشبكة بقى الخاتم الألماظ اللي في إيدك ده، وعليهم كمان عقد لمدة خمس سنين حتكوني فيهم بطلة أي فيلم أنتجه، وبالرقم اللي تطلبيه... هاه قولتي إيه؟“

نظرت له النجمة للحظة في ذهول، وفجأة رفعت كفها في وضع أفقي، وقربته من فمها، وأطلقت زغرودة عاااالية.

نبذة عن الكاتبة

علا سمير الشربيني كاتبة ومحررة ومترجمة مصرية، ولدت في حي شبرا مصر بالقاهرة عام ١٩٧٨، وتخرجت في قسم اللغة الإيطالية بكلية الألسن – جامعة عين شمس عام ٢٠٠٠، ثم حصلت على ديبلومة تمهيدي الماجستير في اللغويات الإيطالية عام ٢٠٠٣.

عملت في مهن مختلفة في بداية حياتها، منها تدريس اللغتين الإنجليزية والإيطالية، والسكرتارية، والترجمة الحرة، وتعمل منذ عام ٢٠٠٨ كقائد فريق المترجمين والمحررين بواحدة من أكبر شركات المحتوى الإلكتروني بالشرق الأوسط، وكانت مسئولة لسنوات عن الصفحة الثقافية وصفحة أخبار السيارات بموقع gn4me.com ، بالإضافة لمساهمات أدبية متعددة بصفحة (ورقة بيضا) على الموقع نفسه، وشاركت لسنوات في كتابة المقالات الموجهة للمراهقين على موقع ياهوو مكتوب، كما تعمل منذ عام ٢٠٠٤ كمراجع لغوي ومعد برامج إذاعية.

لها مدونة إلكترونية منذ عام ٢٠٠٨، باسم الوردة البيضا، وعنوانها

http://rosabianca2008.blogspot.com

وللمتابعة على فيس بوك:

https://www.facebook.com/mito.mitoo.7

وأخيرا وليس آخرا، الكاتبة تؤمن بأهمية التعلم وتطوير الذات حتى اللحظة الأخيرة من عمر الإنسان، لذا عادت لممارسة الرسم، بعد توقف ١٥ عاما، والتحقت بقسم الدراسات الحرة بكلية الفنون الجميلة.

كوبون مسابقة كتاب "مدموزيل من فضلك"

عزيزي القارئ
للاشتراك في مسابقة كتاب "مدموزيل من فضلك"، عليك بعد شراء الكتاب، ملء البيانات الموجودة بأسفل، والتقاط صورة فوتوغرافية لنفسك مع الكتاب، ثم عمل لايك للصفحة الرسمية للكاتبة علا سمير الشربيني على فيس بوك، وعنوانها:
https://www.facebook.com/Olasamirelsherbeny
بعد ذلك أرسل صورتك مع الكتاب وهذا الكوبون – بعد عمل مسح له بالسكانر أو تصويره بكاميرا الموبايل- لرسائل الصفحة، وسيتم نشر الصور المرسلة والتصويت عليها من جانب أعضاء الصفحة، وسيعتبر فائزًا من تحصل صورته على أعلى عدد من الإعجاب والمشاركة (لايك وشير).
سيكون هناك ٣ فائزين، والجائزة عبارة عن رسم بورتريه شخصي موقع من الكاتبة والفنانة علا سمير الشربيني، والتي ستقوم شخصيًّا بتسليم الجوائز للفائزين في أول حفل توقيع يقام للكتاب.
لمعرفة آخر موعد للاشتراك في المسابقة، وموعد تسليم الجوائز، أو توجيه أي أسئلة خاصة بالكتاب أو المسابقة، برجاء متابعة صفحة الفيسبوك المشار إليها.
الاسم:
السن:
البريدالإلكتروني:
رقم الموبايل:
أكثر قصة أعجبتك في الكتاب:
ملحوظة: لن يتم الالتفات لأي صور مرسلة بدون كوبون المسابقة.
مع خالص التمنيات بالتوفيق